الجمهوريـــة الجـزائــريـــة الديمقــراطيــة الشعبـيــة
وزارة التعلـيـم العـالي والبحـث العلمـي
جامعة وهـــــران -السانيا

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

بعنـــوان

المدارس التعليمية بتلمسان
خلال القرنين (8-9هـ/14-15م)

<u>من إعداد الطالبة</u> :
عمارة فاطمة الزهراء

<u>إشراف الأستاذ الدكتور</u> :
محمـــــد بن معـمــر

<u>أعضاء اللجنة</u>

أ.د عبد المجيد بن نعمية	رئيسا	جامعة وهران
أ.د محمد بن معمر	مشرفا	جامعة وهران
أ.د جهيدة بوجمعة	عضوا	جامعة وهران
د. سلميان بوعصبانة عمر	عضوا	جامعة وهران

السنة الجامعية 1430-1431 هـ/ 2009-2010 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى من كتبوا بدمائهم تاريخ الجزائر، شهدائنا الأبرار

إلى الشهيد محمد السنوسي التلمساني الملقب بأبو الحسن

إلى أصحاب الفضل الأول عليهم بعد الله سبحانه وتعالى،

والديّ الكريمين أعانني الله على رد جميلهما.

إلى إخوتي وأخواتي يوسف، أمينة، ليلى، الطاهر، مصطفى،محمود، عبد الرحمن.

إلى من قاسمتني حلو الحياة ومرها أختي في الله نادية بورملة.

إلى الذين لا أنسى عونهم وتشجيعهم لي خلال فترة البحث، عمي الحبيب عمارة، بوزيد معمر، حليمة قصيور.

إلى كل الفريق التربوي العامل بمدرستي سي منصور وبوزياني محمد.

إلى اللواتي ساعدنني في إثراء البحث الزميلات الفضليات غنية عباسي، سمية زدور، لعناني مريامة، أمال لدرع، حيرش حدة، زينب موساوي، خديجة موصدق، فايزة.

كلمـــة شكـــر

الحمد لله رب العالمين على نعمه الكثيرة، أحمده وأشكره على إعانته وتوفيقه
لي في إنجاز هذا العمل المتواضع، قال تعالى "ولئن شكرتم لأزيدنكم".
أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور محمد بن معمر لإشرافه على
البحث، وعلى توجيهاته وإرشاداته القيمة
والذي لم يبخل علي بمكتبته وجهده ووقته.
كما أتقدم بالشكر إلى كل الفريق العلمي بمخبر مخطوطات شمال إفريقيا بكلية
العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وعلى رأسهم
الأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية.
وأتقدم بجميل الشكر إلى الأستاذة صابرة خطيف بجامعة الأمير عبد القادر
بقسنطينة على الجهد والمساعدة.
كما أشكر الأساتذة الكرام الأستاذ بدر الدين بكلية الحضارة بوهران،
الأستاذ علاوة عمارة بجامعة قسنطينة، والأستاذ بن مخبوت بوداوية،
والأستاذ خالد بلعربي، والأستاذ عبد القادر نقادي
بجامعة تلمسان.
كما أتقدم بالشكر للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة.

المقدمة

المقدمة :

لقد شهدت مدينة تلمسان عاصمة الزيانيين بالمغرب الأوسط تطورا حضاريا، مما جعلها مدينة تنافس المدن المغربية، فازدهرت الحاضرة في جميع مرافقها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية، فعرفت تلمسان ظهور المدرسة كأحد المراكز التعليمية الجديدة التي قامت بمهمة التعليم إلى جانب المؤسسات العلمية الأخرى، كالمساجد والزوايا، ولتطور التعليم ارتباط وثيق بتطور العمران على حد تعبير ابن خلدون "العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة".

ولعبت المدرسة دورا هاما في تطوير التعليم، لأن احتواءها على النظام الداخلي وتحديد المنح للطلبة والرواتب للمدرّسين جعل منها مؤسسة تختلف في دورها التعليمي ووظيفتها الاجتماعية عن باقي المراكز العلمية الأخرى، وغدت مدارس تلمسان مراكز علمية تزاول فيها الدراسة وفقا لسياسة تعليمية منتظمة وشروط وضوابط إدارية أخذتها السلطة بعين الاعتبار من أجل تحقيق أهدافها.

وتكمن أهمية موضوع المدارس التعليمية بتلمسان في أنه يبحث في أحد الجوانب المهمة من تاريخ المؤسسات الثقافية بتلمسان وفي فترة مهمة من تاريخ الحاضرة الزيانية (خلال القرن 8-9 هـ/14-15م)، كما أنه يبحث في هذه الظاهرة التعليمية الجديدة والتي تتوافق في بعض تنظيماتها مع ما يعرف في العصر الحديث بالجامعة، وساهمت هذه المدارس إلى حد كبير في تطوير التعليم من خلال المنهج الذي أحدثته في دراسة العلوم العقلية والنقلية.

ومن جملة الأسباب التي دفعتني لاختيار الموضوع هي الأهمية التي يكتسيها موضوع المدارس في تاريخ التعليم بتلمسان، باعتبارها أهم مركز تعليمي عرفته المدينة علما أن دراسة المساجد والزوايا والحياة الثقافية بتلمسان على عهد الزيانيين أخذت نصيبا مهما من الدراسات، بينما موضوع المدارس ورغم ما يكتسيه من أهمية إلا أنه لم يلق الحظ الأوفر من الدراسة والتحليل، نجد ما كتب

عنه يحتاج إلى التدقيق، وجوانب مهمة من الموضوع ظلت مجهولة تحتاج إلى البحث العميق.

فالهدف المقصود من الدراسة هو تسليط الضوء على هذه المؤسسات، ومعرفة أسباب وتاريخ نشأتها، ومعرفة النظام الذي تسير عليه، ومحاولة معرفة طرق وأساليب التدريس بها، ودورها في تفعيل الحياة الثقافية بتلمسان.

ولقد وسمت هذا الموضوع بعنوان **المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرن الثامن والتاسع الهجري، الرابع عشر والخامس عشر ميلادي** ووصفتها بالتعليمية لغرض توضيح اختصاصها بالتعليم على عكس المساجد والزوايا التي كانت تجمع في وظائفها بين التعليم والعبادة.

وخصصت مدارس تلمسان وليس الحاضرة لأن المدارس الست كانت موزعة داخل وخارج الحاضرة، وكانت رغبة الأستاذ المشرف أن تشمل الدراسة جميع مدارس المغرب الأوسط، إلا أن هذه الأخيرة المادة العلمية المتعلقة بها شحيحة جدا، فذكرت كإشارات في المصادر فقط، فنجد ابن صعد التلمساني يذكر في الجزء الأول من النجم الثاقب مدرسة إبراهيم التازي بوهران، ويذكر ابن مرزوق التلمساني في كتابه المسند، والنميري في فيض العباب إنشاء أبي الحسن المريني مدرسة بالجزائر، كما أشار ابن مريم في كتابه البستان إلى مدرسة منشر الجلد بتلمسان، وهذه الإشارات وحدها لا تكفي للإنجاز الدراسة فلم نعثر على نصوص أخرى تدعمنا هذا فضلا عن مدرسة مازونة التي أنشأت خلال القرن العاشر الهجري، لم نستطع إدراجها ضمن الدراسة لأنها كانت خارج الفترة الوسيطية.

ومن بين العوائق التي اعترضت البحث قلة المصادر التي تناولت الموضوع حيث نجد النصوص المتعلقة بالبحث لا تتعدى بعض الأسطر والتي تذكر غالبا اسم السلطان الذي أنشأها واسم المدرسة وموقعها الجغرافي وسبب الذي دفع السلطان لإنشاءها، بينما الجوانب الأخرى من البحث فقد ظلت عبارة

عن إشارات مختصرة في المصادر والتي تفتقر في مجملها إلى التحليل والتفصيل.

أما فيما يتعلق ببعض المدارس -وبعد فترة من البحث- اعتمدنا للحديث عنها على نص أو نصين، كما أن المصادر لم تتطرق إلى نظامها الإداري والمالي، فاعتمدت على بعض الفتاوى الموجودة في كتاب المعيار المعرب للونشريسي، أما فيما يتعلق بالمدرسين والطلبة فجاء عددهم محدود في المصادر مع العلم أن فترة الدراسة ممتدة إلى قرنين من الزمن (8-9هـ/14-15م) إلا أن معظم المصادر ركزت على بعض المدرسين خلال الفترة الأولى من القرن الثامن، فكان هؤلاء المدرسين تقريبا محور الدراسة فيما يتعلق بطرق التدريس والبرنامج الدراسي، أما مدرسي القرن التاسع فنجد بعض الأسماء فقط.

وللبحث في الموضوع انطلقت من مجموعة من الإشكاليات كانت في صدارتها تاريخ ظهور المدرسة في العالم الإسلامي، وما هي أسباب ظهورها واختصاصها بالتعليم؟ وكيف وصلت إلى بلاد المغرب وإلى تلمسان تحديدا؟ وما هي الدوافع والظروف التي ساعدت على انتشارها بتلمسان؟ وما هي دوافع السلطة لتبني مشروع المدارس؟ كيف كان تنظيمها إداريا؟ ما هو مصدرها المالي؟ وكيف كانت وضعية الطلبة والمدرسين بها؟ وما هو المنهج التعليمي الذي كانت تسير عليه هذه المدارس الست؟.

وبناءا على هذه الإشكاليات التي حاولت الإجابة عنها قسمت الدراسة إلى مدخل وثلاثة فصول، وخاتمة.

وتعرضت في **المدخل** لتعريف المدرسة وظهورها عند المسلمين وتطرقت إلى الأسباب التي جعلت المسلمين يفصلون التعليم عن المسجد كما تطرقت لقضية الأسبقية في وجود المدارس ما بين المدرسة النظامية ومدارس خراسان، ثم تطرقت إلى ظهورها ببلاد المغرب وتعرضت إلى أسباب تأخر ظهورها بتلمسان إلى غاية القرن الثامن الهجري.

أما **الفصل الأول** فقد وسمته بعنوان **المدارس بين التأسيس وازدواجية السلطة،** وقسمته إلى مبحثين، عالجت في المبحث الأول الظروف والدوافع التي كانت وراء إنشاء السلطة للمدارس، أما المبحث الثاني فقد تطرقت فيه إلى تاريخ إنشاء المدارس الست، وتناولت في كل مدرسة إلى السبب المباشر الذي كان وراء إنشاءها مع تحديد الفترة الزمنية التي تم فيها الإنجاز، ثم موقعها الجغرافي من المدينة، كما حاولت وصف المدرسة وتوضيح الصورة المعمارية التي كانت عليها المدرسة ثم أختم الحديث عنها بالتطرق إلى مصيرها.

وعنونت **الفصل الثاني بالنظام الإداري والمالي للمدارس،** وقسمته إلى مبحثين تعرضت في المبحث الأول إلى التنظيم الإداري للمدرسة واستعرضت فيه إلى موظفي المدرسة ووظائفهم، وشروطهم التحاق المدرسين والطلبة، وكل ما يتعلق بالنظام الداخلي للمؤسسة، والمبحث الثاني تعرضت فيه إلى النظام المالي للمدارس والذي كان عن طريق نظام الأوقاف.

أما **الفصل الثالث** فكان **المنهج التعليمي للمدارس وأثره في تكوين النخب العلمية بتلمسان،** وتعرضت فيه إلى طرق التدريس والواقع التعليمي لدراسة العلوم العقلية والنقلية للمدارس وتعرضت كذلك للبرنامج الدراسي. أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه نتاج المدارس على المستوى الثقافي، وتعرضت لدور المدارس في تأطير الأسر العلمية بتلمسان، وطلبة المدارس بين التنوع العلمي والتخصّص.

أما المنهج التي اعتمدت عليه في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل المادة التاريخية واستقرائها من خلال مقارنة النصوص وتحليلها.

أما فيما يتعلق بالمصادر الأساسية المعتمدة في الدراسة والتي تناولت موضوع المدارس، فإنها لم تتفاوت كثيرا من حيث المادة، أولها المصادر المخطوطة، اعتمدت على كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لأبي زكريا يحيى ابن أبي عمران المازوني، واعتمدت على النسخة الموجودة بدائرة الحفـظ

والمخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1335.

أما المصادر المطبوعة على رأسها مؤلفات أبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1406م) وكتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ولقد اعتمدت على الجزء السابع والنص المتعلق بمدرسة أولاد الإمام والذي أورده المؤرخ ضمن الخبر عن استنزال زيرم بن حماد عن ثغر برشك، وامتناع دخول الفقيهان ابني الإمام إلى برشك فاستقرا بتلمسان، كما اعتمدت في بعض الأخبار المتفرقة بشأن حصار تلمسان وأخبار السلاطين.

هذا بالإضافة إلى مؤلفه التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، والذي سجل فيه ابن خلدون جميع أحداث عصره التي تأثر بها وأثر فيها، ولقد اعتمدت في رحلته على الجزء الخاص بنشأته ومشيخته وحاله، حيث عرّف ابن خلدون العلماء الوافدين مع السلطان أبي الحسن المريني إلى تونس وعالج فيه ابن خلدون المجلس العلمي للسلطان أبي الحسن فعرف جميع علماء المجلس بما في ذلك علماء تلمسان.

كما اعتمدت على كتابه المقدمة وبالتحديد الباب الخاص بالتعليم والذي استفدت منه في طرق التعليم واتصال سند تعليم علماء تلمسان بعلماء المشرق، بالإضافة إلى تصنيفه للعلوم وارتباطها بكثرة العمران وعظم الحضارة، وتكمن أهمية كتاب المقدمة أن بعض أرائه في التعليم كانت منبثقة من واقعه الثقافي الذي عايشه، فحاول ابن خلدون نقد كل ما رآه مخلا بالتعليم، كما نجده لا يذكر مدارس تلمسان أثناء حديثه عن المدة الدراسية المعتمدة للتعليم بتونس وفاس.

يحتل كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لأبي زكرياء يحيى ابن خلدون المتوفي سنة (780هـ/1378م) المرتبة الثانية من حيث الأهمية اعتمدت على الجزء الأول من تحقيق عبد الحميد حاجيات الذي استعرض فيه المؤلف للتاريخ السياسي لتلمسان حتى عهد أبي تاشفين بن أبي حمو، ثم أتبعه بتعريف من أنجبته تلمسان أو استقر بها من العلماء والصالحين، وقد ترجم المؤلف لعدد مهم من طلبة وعلماء المدارس.

كما اعتمدت على الجزء الثاني من كتابه "البغية" والذي نشره ألفدر بل وأفرده المؤلف للحديث عن السلطان أبو حمو موسى الثاني، الذي خصص فيه محلا عن المدرسة اليعقوبية في موضعين، مرتبا مادته التاريخية حسب السنوات، فتحدث في الوضع الأول عن دوافع السلطان لإنشاء المدرسة، وفي الموضع الثاني يتحدث عن معاينة السلطان للمدرسة وتحديد الوظائف بها ثم عن افتتاحها وعلاقة السلطان بمدرسها أبي عبد الله الشريف التلمساني.

كما استفاد البحث كثيرا من كتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن" لأبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (توفي 781هـ/1379م) تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، وهو مصدر مهم سجل فيه ابن مرزوق التعريف بالسلطان أبي الحسن المريني، واستفدت من القسم الخاص الذي أفرده للحديث عن المدارس وأعضاء المجلس العلمي المريني، والذي ضم المجلس عدد مهم من علماء وطلبة مدارس تلمسان.

واعتمدت على كتاب "تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدور والعقيان في بيان شرف بني زيان" لمحمد بن عبد الله التنسي (توفي 899هـ/1439م) حققه وعلق عليه محمود بوعياد، والمصدر ذو أهمية بالغة كتبه للسلطان المتوكل (حكم بعد سنة 866هـ/1461م)، اهتم التنسي أثناء حديثه عن إنجازات السلاطين بموضوع المدارس، فذكر سبب إنشاء السلطان للمدرسة وعلاقة السلطان بالمدرس، ويحدد أحيانا موقعها من المدينة.

كما اعتمدت على كتاب "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب" لأحمد بن يحيى الونشريسي (توفي 914هـ/1508م)، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، اعتمدت على الجزء السابع والمتضمن لبعض الفتاوى المتعلقة بالمدارس.

بالإضافة إلى كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب" لأحمد بن محمد المقري التلمساني (توفي 1041هـ/1631م)، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، ويضم الجزء السادس ترجمة أبو عبد الله المقري جد المؤلف ترجمة مستفيضة له ولشيوخه من علماء تلمسان واحتوت هذه التراجم في طياتها على طرق التدريس والبرنامج الدراسي التي كانت معتمدة بمدارس تلمسان، ونفس التراجم موجودة في كتابه أزهار الرياض في أخبار عياض الجزء الخامس.

أما كتب الرحلات اعتمدت على رحلة القلصادي لأبي الحسن علي القلصادي (توفي 891هـ/1486م) دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، وتعد الرحلة أهم مصدر في الجانب التعليمي بتلمسان خلال القرن التاسع، حيث أخذ القلصادي عن علماء المدارس كالمدرسة اليعقوبية وعلى كبار علماء تلمسان، واعتمدت على الرحلة المعروفة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العمري (توفي 749هـ/1348م) أصدرها فؤاد سزكين، والتي تعرض للحديث عن مملكة تلمسان وأحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما اعتمدت على رحلة "وصف إفريقية" لليون الإفريقي والمعروف بالحسن الوزان (ت 956هـ/1549م)، وإن كانت الرحلة خلال القرن العاشر.

وقد ساهمت مجموعة من المراجع المهمة في إثراء هذه الدراسة وعلى رأسها كتاب "دراسات تراثية في التربية الإسلامية" للدكتور محمود قنبر وهي دراسة مهمة في التعليم الإسلامي، واستفدت منه في إشكالية وجود المدارس بالعالم الإسلامي، وحاول الباحث من خلالها جمع أكبر قدر من النصوص

التاريخية المتعلقة بظهور المدرسة وخصوصياتها (النظام الداخلي وتخصيص الرواتب للمدرسين والطلبة).

كما استفاد البحث من دراسة الدكتور عبد العزيز فيلالي الموسومة بـ"تلمسان في العهد الزياني" وهي دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية وهي مرجع مهم في دراسة الحاضرة على العهد الزياني، تطرق فيها إلى نظام التعليم وجميع المؤسسات العلمية، كما تناول وضعية التعليم ومناهجه وطرقه.

هذا بالإضافة إلى مذكرة تخرج لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط بعنوان "فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791هـ/1235-1388م) –الجهاز الديني والتعليمي–" من إعداد الطالبة صابرة خطيف، وهي دراسة مهمة في التاريخ الثقافي لتلمسان، تناولت فيه الباحثة موضوع الدراسة بشكل مهم، فتعرضت للمدارس الزيانية ضمن العمارة، المدرسون، الطلبة، كما تطرقت في لأوقافها وكذا المنهج التعليمي.

ومن المراجع الفرنسية المهمة المعتمدة في البحث "الآثار العربية بتلمسان" "Les Monuments arabes de Tlemcen" لوليام مارسي وجوج مارسي، وهي دراسة أثرية مهمة تطرقت للمدارس من الناحية العمرانية.

المدخل

المدخل :

عرَّف ابن منظور المدرسة أنها كلمة مشتقة من الفعل درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ودرست الكتاب أدرسته درسا أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه عليّ[(1)]، ولفظ المدرسة مولد عند العرب مأخوذ من العبرانية أو الأرامية، فيقال مدارس اليهود، وعند المسلمين هي البيت الذي يدرس فيه القرآن، وأصله مدارس أو مدرس وجمعه مداريس، ثم خفف فأصبح مدارس[(2)].

كما يطلق هذا المصطلح على المدارس الفكرية، فيراد بها مجموعة من الباحثين الذين يعتنقون مذهبا معينا ويقولون برأي مشترك، إذ يعرف عنه أنه من مدرسة فلان أو على رأيه ومذهبه، ويقال أيضا المدارس الفقهية المالكية والشافعية وغيرها من المدارس، والتي يقصد بها التفريق بين المذاهب الإسلامية، أو الاتجاهات الفقهية المختلفة داخل المذهب، والتي ترى تحديد أراء صاحب المذهب هو ما تسير عليه[(3)].

ولقد حاز العرب المسلمون قصب السبق في إنشاء المدارس كمعاهد مخصصة للتعليم، فهي منشأة من مستحدثات الإسلام لم تكن معروفة قبله[(4)] وظهورها كمؤسسة مستقلة بالتعليم جاء نتيجة طبيعية اقتضاها التطور العلمي ونشاط الحركة الفكرية، لأن اتساع هذا النشاط استلزم قيامها [(5)]، وذلك بعد أن حظي التعليم المسجدي بمكانة بارزة وغدا المسجد مركزا تعليميا ومنبرا لتدريس

(1) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر،ط1، مج2، ص378-387.

(2) محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، د.ط، 1405هـ/1985، ص22.

(3) مبروك المصري، المدرسة الفقهية التواتية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مجلة أكاديمية دورية محكمة تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، السنة الأولى، العدد الأول، 1425-2004، ص103.

(4) محمد إسكندري، المدرسة والدولة في العصرين الفاطمي والأيوبي، مجلة الاجتهاد، بيروت، دار الكتاب للأبحاث والترجمة والنشر، العدد الرابع، 1989، ص145.

(5)حسن جبر، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، الكويت، دار الكتاب الحديث، ط2، 1999، ص213. إبراهيم أحمد العدوي، التعليم الإسلامي بين الأصالة والتجديد، حوليات كلية دار العلوم، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة،د.ط، 1998، ص9.

العلوم الدينية والدنيوية(1). وبمرور الزمن لم يعد من الممكن للمسجد أن يؤدي وظيفتين معا -أداء الشعائر الدينية والتدريس- بسبب اتساع حلقات المدرسين، وازدياد عدد الطلبة وبالتالي تعدّد الأصوات وكثرة المناقشات، بالإضافة إلى ظهور بعض العلوم التي تستدعي الحوار والجدل كعلم الكلام والفلسفة والتي تتنافى طبيعة تدريسها مع دور المسجد الروحي باعتباره محل العبادة(2)، فكانت هذه أهم الأسباب التي دعت إلى فصل التعليم عن المسجد، وظهور المدرسة كمؤسسة مستقلة بالتعليم.

شاع مصطلح المدرسة في العالم الإسلامي بعد ظهور المدرسة النظامية ببغداد سنة 459هـ/1064م(3)، فنيسابور هي الموطن الأول الذي عرف المدارس وذلك خلال القرن الرابع هجري(4)، والمدارس النظامية ما هي إلا تقليد للمدارس الخراسانية -مدرسة ابن فورك(5)، والمدرسة البيهقية(6) والمدرسة

(1) عن دور المسجد ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط10، ج2، ص52 وما بعدها.
أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، بيروت، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ط 1954، ص85 وما بعدها.
أحمد محمد القاسمي، دور المسجد في الإسلام، مجلة منار الإسلام، العدد 7، السنة الثالثة، ص67 وما بعدها. كامل حيدر: مراكز التعليم الأولى في الإسلام، مجلة المعارج ، العدد 19، 1992، ص68 وما بعدها.

(2) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص 96 ومابعدها.

(3) تقي الدين أبو العباس المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، د.ط 1418هـ-1990 ج4، ص199. - الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، دار الفكر العربي، د.ط، 1998، ج2، ص223.- تاج الدين أبو نصر السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناجي، عبد الفتاح محمد الحول، د.ط، د.ت، مج ص 70

(4) ينظر عن الحياة الثقافية بخراسان، نجيب بن خيرة، الحياة العلمية في الدويلات الإسلامية بالمشرق (خراسان وما وراء النهر) بين القرنين الثالث والخامس الهجريين 205هـ-432هـ/820م-1041م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، 1424-1425هـ/2003-2004م، ص172 وما بعدها.

(5) الفقيه الامام ابو بكر بن فورك المتوفي سنة 406 هـ، كان يدرس بالعراق و لما قدم نيسابور بنيت له الدار والمدرسة، محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية.

(6) المدرسة البيهقية شيدها أبو بكر البيهقي سنة 458هـ/1068م بعد أن صار مدرسا في نيسابور سنة 441هـ/1049، ينظر: المقريزي، الخطط، ج4، ص199. السيوطي، حسن المحاضرة ج2، ص223.

السعديـــة[1]، بالإضافة إلى مدرسة أبي سعيد إسماعيل الأسطر باذي[2] ومدرسة أبي إسحاق الإسفرائيني-[3] أولى المدارس بالعالم الإسلامي، في حين عرف المشرق الإسلامي بداية من القرن الرابع الهجري، مراكز تعليمية أخرى منفصلة عن المساجد، البعض منها أهلي والآخر حكومي كدار الحكمة ودار العلم، ودار الكتب،و دور الضيافة،و دور الوارقين والحوانيت وغيرها من الدور التعليمية[4] ويتشابه الكثير منها في بعض الوظائف ، كاحتواء معظمها على المكتبة وبيوت الطلبة، كما أضاف لها منشؤوها الأرزاق على الطلبة والمدرّسين[5].

غير أن المدارس الخراسانية والدور التعليمية المنتشرة في بلاد المشرق على كثرتها واختلافها لم تبلغ الشهرة التي بلغتها المدرسة النظامية[6] التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك[7].

(1) المدرسة السعدية: شيدها الأمير الغزنوي نصر الدين بن سبكتكين بنيسابور خلال فترة حكمه (366هـ-387م)، ينظر: المقريزي، المصدر نفسه، ج7، ص199. المصدر نفسه، مج2، ص223، السبكي، طبقات الشافعية، مج4، ص314.

(2) أنشأها الخطيب الواعظ أبو سعيد الأسطر باذي، ينظر السيوطي، المصدر نفسه، ص223.

(3) مدرسة أبو إسحاق الإسفرائيني الفقيه الشافعي الأصولي المتكلم، اشتغل بالتدريس بمدرسته المشهورة والتي لم ير مثلها بنيسابور، أخد عنه علم الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور، توفي سنة 418هـ، ينظر: أبو العباس شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت، مج ص28. السبكي، طبقات الشافعية، ج4، ص357 وما بعدها.

(4) للتفصيل عن الدور التعليمية ينظر: محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، ص22 وما بعدها.

(5) محمود قمبر، المرجع نفسه، ص25-26. ناجي معروف، مدارس قبل النظامية، مجلة المجتمع العلمي العرقي، بغداد، د.ط، 1973، المجلد 22، ص118.

(6) للتفصيل عن المدرسة النظامية ينظر: بن سادات نصر الدين، المدرسة النظامية في بغداد ومنهجها التعليمي (447-656هـ/1065-1263م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2002-2003.

(7) نظام الملك: هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الشافعي من أهل نوقان إحدى مدن طوس تعلم بها وبنيسابور عمل كاتبا لعلي بن شاذان والي مدينة بلخ وقد اتخذه داود بن ميكائيل السلجوقي وزيرا له عام 455هـ/1062، ولما تميز به من الخبرة الإدارة والحنكة السياسية وتدبير الملك دامت وزارة للسلاجقة لكل من السلطان ألب أرسلان وابنه الملك شاة ثلاثون سنة، توفي سنة 485هـ/1095، ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج 2، ص128 ومابعدها. أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ج16، ص302 وما بعدها.

واستمر نظام الملك في إنشاء العديد من المدارس في كل من بغداد، البصرة، الموصل، بلخ، نيسابور وهراة وأصبهان، أمل، مرو، والعراق وعُرفت جميعها بالنظامية[1].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام، لماذا اشتهرت النظاميات عن غيرها من المدارس ؟ وما هو وجه الخلاف بينها وبين المدارس الخراسانية والدور التعليمية الأخرى؟.

إن الشهرة التي بلغتها المدرسة النظامية جاءت نتيجة طبيعية لشيوع لفظ المدرسة كمؤسسة تعليمية في المشرق، أما عن مصطلح المدرسة فقد كان منتشرا في إقليم خراسان خلال القرن الرابع الهجري[2].

وفي المشرق الإسلامي كان الغالب على المراكز العلمية مصطلح الدور ثم انتقل إلى العراق مع بداية القرن الخامس الهجري[3]، ولعل سبب غياب لفظ المدرسة في المشرق الإسلامي إلي عهد نظام الملك يعود إلى اختلاف المسميات في المناطق والأقاليم وإلى ثقافة مجتمعاتها.

غير أن المدرسة النظامية لم تكن ظاهرة عمرانية جديدة بالمشرق الإسلامي، بل جاءت كخلاصة للجهود المبذولة سابقا في حقل التعليم ومؤسساته الآنفة الذكر، والتي ورثت النظامية عنها أهم الدعائم الأساسية خاصة تلك التي تتعلق بتخصيص مساكن للطلبة والمدرسين, وإجراء المنح والأرزاق عليهم[4].

---

(1) أبو الحسن محمد بن جبير الكناني الأندلسي، رحلة ابن جبير وهي الرسالة المعروفة تحت اسم اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/2002م، ص180.

(2) محمود قمبر، دراسات تراثية، ص20-21-22. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، د.ت، ج3، ص220.

(3) محمود قمبر، المرجع السابق، ص20.

(4) محمود قمبر، المرجع نفسه، ص24-25.

وما ميز المدرسة النظامية عن غيرها من المدارس والمؤسسات العلمية أنها جعلت التعليم تحت رعاية ووصاية السلطة، فهي الفاعلة والمتصرفة فيها حسب ما رسم لها من أهداف، وذلك بعد أن كان التعليم الإسلامي مظهرا من مظاهر النشاط الأهلي لا شأن للحكومة به[1]، فاحتواء السلطة للمدرسة أعطاها دافعا للاتساع والانتشار وممارسة التعليم حسب ما تمليه السلطة عليها، وقيامها بدور تكوين العلماء والمثقفين والإداريين القائمين فيما بعد على تفعيل الحياة السياسية والاجتماعية من خلال تولي المناصب المهمة في الدولة[2].

إن ما حققته المدارس النظامية من إنجازات ميدانية على المستوى التعليمي والاجتماعي كان سببا في سرعة انتشارها، إذ انتقلت على التوالي إلى بلاد الشام[3] ومصر[4]. ففي الشام كانت أشهرها المدرسة النورية والتي أنشأت سنة (568هـ/1182م)، وتجاوز عددها سنة (658هـ/1260م) ثلاثة وخمسين مدرسة[5] وفي مصر انتشرت المدارس على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي، حيث عدّد لنا المقريزي خمسة مدارس كان له الفضل في إنشائها خلال فترة حكمه[6] و بلغ عددها في القاهرة والفسطاط أربعة وعشرين مدرسة[7].

أما ظهورها في بلاد المغرب فإننا نجد اختلاف عن بداية ظهورها بالتحديد، فهناك من المؤرخين من يقول أنها كانت موجودة خلال الحقبة المرابطية في عهد يوسف بن تاشفين, الذي بنى بفاس أولى المدارس تزامنا مع

(1) حسن جبر، أسس الحضارة العربية، ص221.

(2) فرخيليو مارتينيث إينا مرادو، العلم والسلطة والمدارس زمن ابن خلدون، مجلة معرض ابن خلدون بين الجزائر والأندلس، إسبانيا، مؤسسة التراث الأندلسي، 2007، ص134.

(3) للوقوف على المدارس ببلاد الشام، ينظر: عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410-1990، ج1، ج2.

(4) جورج مارسي، تلمسان، ترجمة سعيد دحماني، الجزائر، دار التل للنشر، د.ط، 2004، ص53.

(5) فرخيليو مارتينيث، المرجع السابق، ص136.

(6) المقريزي، الخطط، ج4، ص 110.

(7) محمد عبد المنعم الجمل، معالم تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، د.ط، د.ت، ص193.

المشرق، وورد هذا النص ضمن أعمال المهدي بن تومرت للقضاء على الدولة المرابطية حيث أشار "على عبد المؤمن بن علي قتل طلبة هذه المدرسة وفقهائها"[1].

كما تشير نصوص أخرى أنها كانت موجودة في العصر الموحدي، ذكرها ابن فرحون في الديباج المذهب عندما ترجم للفقيه أبي علي ابن سكرة المعروف بالصدفي (ت514هـ/1120م) بعد أن تلقى تعليمه في الأندلس ارتحل إلى المشرق لطلب العلم، ثم عاد إلى الأندلس، واستقر بمدرسة مرسية..." [2].

وذكر صاحب روض القرطاس أن يعقوب المنصور الموحدي (580-595هـ/ 1184-1198م) بنى مدرسة في حدود سنة (593هـ/1196م) "...وحصن البلاد وضبط الثغور وبنى المساجد والمدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس وبنى المارستان وأجرى المرتبات على الطلبة والفقهاء..." [3].

.[3]

إن هذه النصوص تشير إلى وجود المدرسة ككيان تعليمي منفصل عن المسجد، إلا أنها اكتفت بذكر مصطلح "مدرسة" ولم تعط تفاصيل أكثر عن خصوصياتها كمؤسسة تعليمية. ويعطينا ابن مرزوق دليلا مهما يؤكد فيه البداية التأسيسية للمدارس ببلاد المغرب وينفي وجودها من قبل، وكان أول من أسسها هو السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني "الذي بنى المدرسة بفاس

(1) عبد الله علام، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي،مصر .دار المعارف، 1971، ص 132.

(2) إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق و تعليق محمد الاحمدي ابو النور، القاهرة ،دار التراث، د.ط، د.ت، ج 1، ص 331.

(3) ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المصور للطباعة والوارقة، د.ط، د.ت، ص217.

بعدوة القرويين منها، ولم يكن لأهل المغرب عهد ولا معرفة بموضعها فيما علمت"(1).

فهذا دليل على أن أهل المغرب لم يكن لهم عهد بوجود المدارس إلا بعد حكم الموحدين خلال القرن (7هـ/13هـ) وعلى فترات زمنية متفاوتة، أما ما ورد في النصوص السابقة هو ما يسميه محمد القبلي ظاهرة انزلاق المصطلحات الثقافية والحضارية عبر العصور, الشيء الذي كان واردا ومتكررا في المصادر التاريخية(2).

أما نص ابن فرحون فيما يخص تدريس علي ابن أبي سكرة الصدفي بمدرسة مرسية قد قابله نص آخر موجود عند ابن بشكوال في كتابه الصلة :"ووصل إلى الأندلس في صفر من سنة ستة وتسعين وأربعمائة وقصد مرسية فاستوطنها وقعد يحدث الناس بجامعها"(3).

لقد شهدت المدارس المشرقية تطورا في نظام التعليم، وعلى سبيل المثال بلغ عدد طلبة المدرسة المستنصريه ثلاثمائة طالب، واعتمدت على تدريس المذاهب الأربعة فكان لكل رواق مذهب(4)، وكان لهذا التطور الأثر الكبير في شهرة هذه المدارس, مما أدي إلى انتقالها إلي المغرب الإسلامي ويعد الحفصيون بتونس أول من أخذوا عن المشرق فكرة إنشاء المدارس بالمغرب.

---

(1) محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق مارياخيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د. ط، 1401-1981، ص.116. 405

(2) محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، الرباط، دار توبقال للنشر، طبعة1 (1987)، ص68.

(3) ابن شكوال، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1410-1989، ج1، ص236.

(4) وسيلة بلعيد بن حمزة، نشأة المدارس في تونس، الهداية، مجلة ثقافية إسلامية، تونس، تصدر عن المجلس الإسلامي الأعلى، العدد 5، 1415هـ-1995م، ص78.

أنشأ السلطان أبو زكرياء الحفصي (625-647هـ/1228-1249م) مدرسة الشماعين خلال عهده بالحكم، والتي تعد أول مدرسة بتونس وبالمغرب الإسلامي ككل [1].

وهناك عدة عوامل وظروف ساعدت على انتقالها من مصر إلى إفريقية الحفصية، وكان أولها العامل الجغرافي[2]، فبحكم الجوار كانت إفريقية هي السباقة لتقليد هذا النمط المشرقي الجديد، بالإضافة إلى العلاقات الحفصية المصرية والتي مردها إلى بيعة شرفاء الحجاز[3] للخليفة المستنصر الحفصي سنة (657هـ/1269م)، مما دفع مصر إلى إعلان البيعة للحفصيين بتونس، ثم تطورت العلاقة الحفصية المصرية، فتطورت بذلك السياسة الدينية للحفصيين ,وتزامن هذا التطور مع ظهور بوادر سقوط الدولة الموحدية، وسعي الحفصيون إلى الاستقلال السياسي بإفريقية مما دفعها لتوطيد علاقتها بمصر[4].

يرى محمد القبلي أن لهذا الحدث السياسي عدة اعتبارات دينية استغلتها الدولة الحفصية، فبعد إسقاط الموحدين العقيدة المهدوية وسياسة المرتضى الميالة أكثر للمذهب المالكي جعل المستنصر يتقرب من مالكية بلاد المغرب[5]، فرسخ ذلك عن طريق تأسيس المدرسة الحفصية، ومن هنا يتبين مدى عمق العلاقة

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس (1966)، ص136.

(2) محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ص70.

(3) بيعة الشرفاء: بايع أهل مكة السلطان أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصي سنة 657هـ، ومن حينها تسمى السلطان بأمير المسلمين وتلقب بالمستنصر، والبيعة من إنشاء عبد الحق بن سبعين، أنظر: محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد حبيب هيلة، تونس، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1970، ج1، القسم 4، ص1028. أبو عبد محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، ط2 ، 1966، ص33-37. أحمد بن أبي الضيّاف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الآمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية الأخبار، الدار التونسية للنشر، د.ط، /1376هـ /1976م، ج1، ص204.

(4) محمد القبلي، المرجع نفسه، ص 71.

(5)محمد القبلي، المرجع نفسه، ص 71.

المصرية الحفصية وأثرها على الجانب الثقافي. ثم انتقل نشاط بناء المدارس إلى المغرب الأقصى عندما أمر السلطان أبو يوسف يعقوب بناء مدرسة الحلفاويين بعدوة القرويين بفاس ما بين سنتي (675هـ-679هـ) [(1)].

وفي المغرب الأوسط ظهرت المدرسة بتلمسان، خلال العقد الأول من القرن (8هـ-14م) على يد السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م)[(2)].

من خلال ما سبق نلاحظ تأخر ظهور المدارس بتلمسان عن إفريقية والمغرب الأقصى بنحو نصف قرن، وعن بلاد المشرق بنحو قرنين من الزمن.
إذا نظرنا إلى الظروف التي ظهرت فيها المدارس النظامية بالمشرق ومقارنتها بالمغرب، نجدها تختلف تماما عن الأوضاع السائدة بالمغرب الإسلامي، فقد ظهرت المدارس في المشرق في مناخ متعدد المذاهب السنية بوجود المدارس الحنفية والشافعية، وبعض المدارس المالكية، كما لعب عامل التنافس العلمي دوره في إذكاء جذوة الاستمرارية وبدرجات متفاوتة، بالإضافة إلى أن هذه المدارس على اختلاف مشاربها قد ترعرعت في جو يتسم بالصراع ضد الشيعة الإسماعيلية[(3)]. إن الهدف الرئيسي للسّلاجقة السنيون من إنشاء المدارس هو الحد من انتشار المذهب الشيعي، إذ رأت السلطة السلجوقية إبعاد كل من يتعاطف مع الشيعة أو يعتنق مذهبهم[(4)]، فهي محاولة من السلطة لترسيخ المذهب السني[(5)].

---

(1) ابن مرزوق المسند، ص116. محمد المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، د.ط، د.ت، 1985، ص285 وما بعدها.

(2) أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، د ار الكتب العلمية، ج7، ص118. أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ط، (1979، ص31. التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بوعياد، الجزائر المكتبة الوطنية، ط (1405هـ/1985م)، ص139.

(3) محمد القبلي، مراجعات، ص74-131.

(4) جورج مارسي، تلمسان، ص53.

(5) فرخيلو مارثينيث، العلم والسلطة زمن المدارس، ص135.

في حين كانت الساحة الفكرية المغربية لا تعرف الصراع العقائدي وذلك بوجود المذهب المهدوي الموحدي، ويرى ألفرد بل إنشاء المدارس بالمغرب أحد الدلالات الكبرى على انتصار المذهب السني والقضاء على العقيدة التومرتية[(1)].

يَعودُ تأخّر ظهور المدارس بتلمسان إلى الصراع السياسي وتبعاته، إذ يعد الحصار من أهم الوسائل التي تستعملها الدولة الغازية للضغط مقابل استسلامها، ويعود هذا الصراع بين الكيانات السياسية الجديدة (الحفصيين، الزيانيين، المرينيين) إلى رغبتها في توسيع نطاق حدودها الجغرافية ووراثة التركة الموحدية، وكانت تلمسان طرفا في هذا الأخير بين الجبهتين الشرقية والغربية.

الصراع الحفصي الزياني: شهدت الجهة الشرقية[(2)] لبلاد المغرب الأوسط تبعية حفصية منذ ميلادها، إلا أنه ومع استقلال بني زيان بتلمسان سنة (633 هـ/1236م)، أخذت هذه الأخيرة في التوغل شرقا لبسط سيطرتها على بلاد المغرب الأوسط[(3)]، فشهدت المنطقة صراعا بين هاتين الدولتين، ومما زاد من حدته –الصراع– هو ما أثير لدى السلطان أبي زكريا الحفصي (625هـ–647هـ) [(4)] من ريبة وشك في الصلات الطيبة بين يغمراسن بن زيان والخليفة الرشيد الموحدي، واعتبر أبو زكريا هذا التقارب تهديدا لسلامتهم واستقرارهم[(5)]، فنهض إلى تلمسان في سنة (639هـ) واستقر معه العرب الداخلين في طاعته من بني سليم ورياح، وجمع كلمة زناتة وسرحهم أمامه، وتمكن خلالها من دك أسوار

(1) ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1987، ص531.

(2) الجهة الشرقية من المغرب الأوسط تتمثل في عمالتي قسنطينة وبجاية إلى الجزائر ومليانة غربا، وما بعد ورقلة جنوبا، أنظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص70.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص94.

(4) يعتبر أبو زكريا الحفصي مؤسس الدولة الحفصية، إذ استبد بالحكم تدريجيا فنبذ الطاعة لصاحب مراكش 625هـ، ثم أسقط اسم الخليفة الموحدي من الخطبة سنة 627هـ، وقد بويع ثانية 634هـ. أنظر ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي عبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر (1968)، ص107.

(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص94.

تلمسان ودخول المدينة،[1] إلا أنه لم يستطع المكوث بها غير أيام، ثم انتهى أبو زكريا الحفصي إلى إعادة يغمراسن للحكم بعد أن عقد الصّلح معه على الخلاء مقابل أن يقطع صلته نهائيا بمراكش، ويصبح تابعا للحفصيين ويخطب باسمهم نظير التأييد الحفصي[2]. ولا شك أن هذا الهجوم قد أثر في إنجازات الدولة التوسعية.

إن طابع العداء والصراع بينهما سرعان ما تبدد وأخذ طابع الهدوء النسبي يسود العلاقات بين البلدين، وتجلى ذلك في الاتفاقيات التي تمت بين يغمراسن وبني حفص[3]، وكذلك في ربط الصلة القوية معهم عن طريق المصاهرة[4]، وفي الهدايا المتبادلة والسفارات وظلّ بنوه من بعده متمسكين بالطاعة لسلاطين بني حفص[5].

<u>الصراع الزياني المريني</u>: طُبِعَت العلاقات المرينية الزيانية بطابع العداء المتواصل والمتوارث بين الطرفين وهذا رغم رابطة الجوار والانتماء لقبيلة واحدة[6]، أما بنو زيان فقد استخلصهم الموحدون وتحالفوا معهم على بني مرين.

---

(1) ابن قنفذ الفارسية، المصدر السابق، ص107. – أبو يحيى زكريا يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، المكتبة الوطنية، د.ط، 1400هـ/1980م، ج1، ص205. – أبو عبد الله محمد ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، تونس، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1984، ص59.

(2) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص205. –ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص95.– روبار برانشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تحقيق حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص60.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 7، ص106.

(4) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص115. - ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص108.

(5) ظل يغمراسن متمسكا بالطاعة والخطبة للحفصيين في عهد المستنصر الحفصي (647-675هـ)، كما تبعه ابنه عثمان بن يغمراسن بعده حيث جدد بيعته للسلطان أبي حفص (683-694هـ)، أنظر ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص110.

ابن الشماع الأدلة البينة، ص62-82.

(6) ينتسب كل من بني عبد الواد وبني مرين إلى واسين بن يصلتين مسر ابن زاكيا من القبائل الزناتية والعريقة التي تنتسب إلى بلاد المغرب الأوسط، أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص73.

وكانت هذه العداوة مبعثها المنافسة على رئاسة زناتة والتشوف إلى السلطة المطلقة لبلاد المغرب الإسلامي. حيث كانت من نتائج هذا الصراع تعرض المغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة للهيمنة المرينية.

جرت عدة معارك في عهد يغمراسن بن زيان ضد بني مرين أهمها :

واقعة ايسلي الأولى 647هـ[1] وواقعة كلدامان 657هـ[2]، وواقعة تلاغ 666هـ[3]، وواقعة ايسلي الثانية 670هـ[4]، وواقعة خرزوزة (الملعب) 680هـ 680هـ وقد انهزم الجيش الزياني في أغلبها وكثيرا ما كانت تتعرض تلمسان للتخريب والفساد والحصار الضارب على أسوارها.

(1) واقعة ايسلي الأولى: بعد انتقاض أهل فاس عن طاعة بني مرين وبيعتهم للخليفة المرتضي الموحدي، خرج الأمير أبو يحيى بن عبد الحق المريني إلى فاس 647هـ، وضرب عليها الحصار،فأرسل الخليفة الموحدي إلى يغمراسن. بحثه للاستيلاء على النواحي التي استولى عليها بنو مرين، فتقدم يغمراسن مع جموع زناتة واستولى على ممر تازة فنهض إليه أبو يحيى والتقى الجيشان بوادي ايسلي على مقربة من وجدة، وانهزم يغمراسن. أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص 206-207.

– علي بن أبي زرع الفارسي، الذخيرة، السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.ط، 1972، ص74-76. – ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المعرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.،ط، 1972، ص294-295.

(2) واقعة كلدامان: بعد مهلك الامير أبو يحيى بن عبد الحق 656هـ، سما ليغمراسن الأمل في ملك المغرب، فجمع حشود زناتة وأحياء العرب من زغبة، وانتهى إلى جلدامان، ولقيه يعقوب بن عبد الحق المريني في قواته وهزمه، فولى يغمراسن إلى تلمسان، أنظر : ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص 210. –ابن أبي زرع، الذخيرة، ص 89. – شهاب الدين الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى اعتنى به محمد عثمان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 (1428هـ/2007م)، ج4، ، ص25.

(3) واقعة تلاغ : بعد أن عقد السلطان الموحدي أبو دبوس الحلف مع يغمراسن، أخذ هذا الأخير في شن هجمات على النواحي الشرقية للمغرب الأقصى للتخفيف من حصار بني مرين على مراكش، وعند سماع السلطان المريني يعقوب بما لحق بلاده أقلع عن حصار مراكش وهمَّ لقتال يغمراسن في جموع كثيرة وكان ذلك سنة 666هـ، فالتقى الجمعان بوادي تلاغ قرب وادي ملوية وانتهت المعركة بانتصار يعقوب المريني واضطر يغمراسن للفرار. أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص 212-213. - ابن أبي زرع، الذخيرة، ص131.

(4) واقعة ايسلي الثانية: بعد دخول يعقوب المريني مراكش 668هـ صرف هذا الأخير نظره لمحاربة يغمراسن، فحشد جموعا عظيمة وقصد عدوه 670هـ، والتقى الجيشان بوادي ايسلي، وانهزم يغمراسن وفر إلى تلمسان ولحقه إليها يعقوب وشدد في حصارها. أنظر ابن أبي زرع، الأنيس، ص309-310. ابن أبي زرع: الذخيرة، ص129-130.

أيقن يغمراسن بن زيان حينها بعدم الجدوى من مواجهة بني مرين، وقد أوصى عند مهلكه ابنه عثمان على تجنب مواجهتهم ولقائهم والمكوث داخل أسوار المدينة وبفتح الجبهة الشرقية لتوسيع نفوذه[1]، فعمد هذا الأخير إلى تنفيذ الوصية وأرسل في طلب الصلح مع سلطان بني مرين يعقوب بن عبد الحق[2]، إلا أنه سرعان ما انتقض عثمان هذا الصلح بتحالفه مع السلطان ابن الأحمر بالأندلس، وعندئذ خرج إليه يوسف بن يعقوب المريني.

<u>أزمة الحصار والضائقة الاقتصادية</u>: إن تعدد الحصارات التي ضربها بني مرين على تلمسان وما نتج عنها من أزمات اقتصادية واجتماعية احد الأسباب الرئيسية التي أخرت وجود المدارس بتلمسان، وكان هذا بعد فشل السلطة المرينية في إخضاع تلمسان تحت سلطتها، فلجأت إلى ضرب الحصار عليها، فعرفت المدينة من تاريخ تأسيس الدولة الزيانية سنة (633هـ إلى سنة 710هـ) إلى عدة حصارات هي:

- الحصار الأول: ضربه السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق سنة 670هـ، بعد ن استبسل يغمراسن بن زيان في صد الغارت المرينية على حدود دولته، إذ تضرر اقتصاد وعمران تلمسان جراء هذا الحصار[3] وقد وصف لنا صاحب الذخيرة هذا الحصار:"...وبقي يغمراسن محصورا ذا أرق وحيف، واحتوت مرين على جميع ما بخارجها من القرى والضياع والفواكه والثمر والزروع... فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار، وخربوا الربوع، وأفسدوا الزروع ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السدرة والدوم.." [4].

---

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص109.

(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص111.

(3) علي ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة، ص131.

(4) ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص132. أبو عبد الله محمد بن مرزوق، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديد، ط1، 1429هـ/2008م، ص179، 274، 294.

الحصار الثاني: وهو الحصار الطويل أو الكبير[1] ضربه السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق كخطوة أخيرة لجر تلمسان للخضوع للسلطة المرينية بعد فشل حملاته الخمس ضدها، فعزم على النهوض إليها ومطاولة حصارها[2] سنة 702هـ / 1302م، واستمر الحصار حتى دام ثمان سنوات وثلاثة أشهر، لذلك يعدّ أطول حصار في تاريخ الدولة الزيانية[3] فأنهك اقتصاد الدولة ونفدت أقواتها وارتفعت الأسعار وصار ثمن صاع القمح إلى دينارين وربع وصاع الشعير إلى نصف ذلك، كما لجأ الناس من شدة الجوع إلى أكل الحيوانات، وبلغ عدد ضحايا هذا الحصار قتلا وجوعا إلى مائة ألف وعشرين ألفا، وانتهى سنة 705هـ بوفاة يوسف بن يعقوب المريني[4].

لقد أثرت تبعات هذا الحصار على الحياة الاجتماعية لسكان تلمسان بما في ذلك الجانب الثقافي، فاتضحت صعوبة ممارسة بعض أشكال التعليم نتيجة التضييق المحكم والمستمر على المدينة، بالإضافة إلى الضغوط العسكرية التي فرضتها السلطة المرينية خارج أسوار تلمسان.

انتهت هذه الظروف إلى صعوبة استقرار الطلبة لتحصيل العلم، مما دفع بعضهم إلى الهجرة خارج تلمسان، فقد هاجر محمد بن إبراهيم الآبلي[5] إلى

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص261. – التنسي، نظم الدر، ص130. ابو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق محمد بوركبة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، 2007-2008، ص421.

(2)يحى ابن خلدون، البغية، ج1، ص210-211. – ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص261.–شهاب الدين ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، يصدرها فؤاد سزكين، ألمانيا، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، د.ط (1408هـ/1988م)، السفر الرابع، ص89.

(3) ويقول ابن فضل الله العمري أن الحصار دام عشر سنوات، ينظر: مسالك الأبصار، ص89.

(4) يحى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص211. ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص261-262 .

(5) محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري: التلمساني المشهور بالآبلي من كبار العلماء في العلوم العقلية، أخذ عن أبي إسحاق التنسي وابني الإمام وعن علماء المشرق، ولزم علماء المغرب الأقصى لدراسة العلوم العقلية، أخذ عنه العديد من الأئمة أمثال ابن خلدون عبد الرحمن، أبو عبد المقري، يحيى ابن خلدون. توفي سنة (750هـ/1446م)، ينظر ترجمته: يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص120. ابن خلدون، التعريف، ص21-33.

المشرق للحج ولقاء علماء المشرق بعد أن أضله الحصار[1]، ولم يرجع الآبلي إلى تلمسان إلا بعد انتهاء الحصار واستقرار الحكم لبني زيان، فكان أول رجوعه استقراره لطلب العلم على يد الفقيهين الأخوين ابني الإمام[2].

كما منع الحصار قبل ذلك استقبال العلماء الوافدين إلى تلمسان كالفقيهين ابني الإمام اللذين منعهما الحصار الطويل من الدخول إلى المدينة، فاستقرا بمليانة عند الحاجب منديل الكناني[3] الذي اتخذهما لتعليم ولده[4]، كما منع الحصار

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص21-22.

(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص22. الأخوين ابني الإمام من أهل برشك من كبار العلماء والفقهاء المشهورين بالاجتهاد، أبو زيد عبد الرحمن الأخ الأكبر كان شيخ المالكية بتلمسان من تآليفه شرح على ابن الحاجب الفرعي، توفي سنة 743هـ، والأخ الثاني أبو موسى عيسى ابن الإمام، وصفه ابن مرزوق بأنه أذهن من عاصره، جامع أشتات المعارف، توفي سنة 750 هـ، ينظر: مصادر الترجمة. ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، د.ط، د.ت، ج1، ص386. بدر الدين بن عمر القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1415هـ/2004م، ص128 وما بعدها. يحيى ابن خلدون، البغية، ج1، ص130. ابن مرزوق، المسند، ص265-266. ابن خلدون، العبر، ج7، ص118-119. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1423هـ-2004م، مج1، ص267 وما بعدها. أحمد بن محمد التلمساني المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف: مكتبة البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر، ط1 (1419هـ/1998م)، ج6، ص181 وما بعدها.

أزهار الرياض في أخبار عياض تحقيق سعيد أحمد عراب، عبد السلام الهراس طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة، نشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية، وحكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، ط(1400هـ/1980م)، ج5، ص14 وما بعدها. أحمد الونشريسي، وفيات، تحقيق: أحمد حجي، الرباط، مطبوعات دار المغرب للتأليف للترجمة والنشر، د.ط، 1396هـ/1976م، ص112-119. أحمد بن القاضي، لقط الفرائد من لفاظه حقق الفوائد، تحقيق محمد حجي، الرباط، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، د.ط، 1396هـ/1976م، ص195-204.

(3) منديل بن محمد الكناني أبو المكارم: كاتب السلطان أبي يعقوب المريني، وهو الذي اتخذ ابني الإمام لتعليم ولده محمد، وهو الذي أوصلهما إلى أبي حمو ثم عرفهما بمقامها، ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، حققه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، منشورات علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ2002م، ص299.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 31.

استقبال الشاعر ابن خميس[1] التلمساني الذي كان يرجو الرجوع إلى موطنه قائلا في قصيدته[2].

تلمسانُ لو أنّ الزمان بها يسخـــو   منى النفس لا دار السلام ولا الكرخُ
وداري بها الأولى التي حيل دونها   مثار الأسى لو أمكن الخنق اللبـــــخ

---

(1) أبو عبد الله بن عمر ابن خميس: ولد سنة 550هــ بتلمسان من فحول شعراء المائة السابعة، اشتغل بالكتابة على عهد السلطان يغمراسن سنة 681هــ، كان يحب السياسة والسفر وله ميول للتصوف،هاجر إلى المغرب الأقصى ثم الأندلس واستقر بالمرية سنة 702هــ، ثم بغرناطة سنة 703هــ، واشتغل بها للتعليم، وكان شاعر بلاط الوزير ابن عبد الحكيم الغرناطي توفي قتيلا بغرناطة سنة 708هــ، جمع شعره ودونه القاضي أبو عبد الله بن إبراهيم الحضرمي في جزء سماه "الدر النفيس في شعر ابن خميس"، ينظر:محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، ص11-12. يحيى ابن خلدون، ج1، ص109 وما بعدها. جلال الدين السيوطين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دمشق، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1384هــ/1964م، ج1، ص22. المقري، نفح الطيب، ج6، ص 295 وما بعدها.

(2) المقري، نفح الطيب، ج8، ص300.

الفصــل الأول

تأسيس المدارس التعليمية

- المبحث الأول : دوافع وظروف إنشاء المدارس
- المبحث الثاني :المدارس بين التأسيس وازدواجية السلطة.

المبحث الأول : دوافع وظروف إنشاء المدارس

1- دوافع السُّلطة لإنشاء المدارس :

- السلطة وعنايتها المتوارثة بالتعليم:

يُعدّ اهتمام السلطة الزيانية بالتعليم(1) ومؤسساته من أهم الأمور التي توارثها سلاطين البيت الزياني، لذلك جاء ظهور المدرسة بتلمسان ضمن جملة اهتمامات السلطة السابقة والمتعاقبة على الحكم بشكل عام في الميدان الثقافي قبل القرن الثامن الهجري، فلا يُمكنِنَا التطرق للدوافع التي كانت وراء إنشاء السلطة للمدارس بمعزل عن محاولاتها احتواء التعليم.

كانت المساجد الجامعة أحد المرتكزات التي يقوم عليها التعليم العالي، فأولتها السلطة الزيانية منذ اعتلائها الحكم جانبا من الاهتمام عن طريق تجديد العمران الديني والتعليمي الموروث، فأضاف يغمراسن بن زيان (633-

(1) عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة في الحضارة الإسلامية، عدد خاص بالمراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، وهران، ص319.

عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في تلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي في الشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، جويلية- أوت 1975، رجب، شعبان 1395هـ، السنة 4، العدد 26، ص136 ومابعدها.

بوداوية مبخوث، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال العهد الزياني، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، تلمسان، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، 2005-2006، ص66 وما بعدها.

الأخصر العبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلسمان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2004-2005، ص223.

بلحسن إبراهيم، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7-9 هـ/ 13-15م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تلمسان، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، 2004-2005، ص103 وما بعدها.

681هـ/1236-1283م) البصمة الزيانية على الجامعين الأعظمين أجادير[(1)] وتاجرارت[(2)] عندما أضاف لهما الصومعتين[(3)]، كما قام وريث عرشه السلطان أبو سعيد عثمان (681-703هـ /1283-1304م) بإنشاء مسجد أبي الحسن سنة (696هـ/1296م) [(4)].

ولم تكتف السلطة بهذا المجهود المبذول نحو التعليم، بل حاولت إثبات سلطتها على التعليم فرأت ضرورة انتقائها لأكبر فقهاء المغرب ومنحهم المناصب الهامة للتدريس بالحاضرة فكان هدف السلطان -يغمراسن- واضحا مع الفقيه أبي إسحاق التنسي[(5)] عندما نصبه للتدريس بالجامع الأعظم بعد محاولات يغمراسن العديدة والمتكررة استقدامه لتلمسان واستقراره بها للتعليم[(6)]. وتولى نفس المنصب التعليمي أخوه الفقيه أبو الحسن التنسي[(7)] بعد وفاة أبي إسحاق، وأضاف له

---

(1) المسجد الأعظم بأجادير: قام بتأسيسه إدريس الأول عند دخوله تلمسان سنة 173هـ-789م، ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص50. -ابن خلدون، العبر، ج4، ص51 وما بعدها.
- رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، مطبعة البعث، جويلية، أوت 1975، رجب- شعبان، 1395، السنة الرابعة، ص172.

(2) المسجد الأعظم بتاجرارت: يعود الفضل في إنشائه إلى يوسف بن تاشفين المرابطي سنة (475هـ/1066)، وفي سنة 530هـ/1139م تم تزينه بأمر من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين. ينظر: جورج مارسي، تلمسان، ص27-28.

(3) يحيى ابن خلدون: البغية، ج1، ص207. التنسي، نظم الدر والعقبان، ص129.

(4) مسجد أبي الحسن: قام بإنشائه أبو سعيد عثمان بن يعمراسن سنة 796هـ/1296 ويقع قبالة باب البنود، ينظر: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، 209. - جورج مارسي، المرجع السابق، ص48.

(5) أبو إسحاق بن يخلف التنسي المطماطي، من كبار علماء وفقهاء مدينة تنس، انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى بالمغرب كانت تأتيه الفتاوي من تلمسان وإفريقية، من مؤلفاته شرحا على كتاب تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهي لعبد الوهاب المالكي، ضاع في حصار تلمسان، توفي بتلمسان، سنة 680 هـ بالعباد، ينظر: العبدري، الرحلة، المصدر السابق، ص11. يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص114. ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص273 وما بعدها. التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص21-22.
- أبو عبد الله محمد الملقب بابن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، د.ت، ص66 وما بعدها.

(6) التنسي، نظم الدر، ص 126-127.

(7) أبو الحسن علي بن يخلف التنسي: ذو مكانة في العلم والفقه، كما نال الحظوة والمكانة عند السلاطين، كان سفيرا بين ملوك المغرب والمشرق، كما كان فقيه تلمسان لدى أبو يعقوب المريني أثناء الحصار، وكان قد خرج إليه برسالة ولم يعد، توفي قبل انتهاء الحصار سنة 706هـ، وحضر السلطان أبو يعقوب جنازته. ينظر ترجمته، العبدري، المصدر نفسه، ص11. ابن خلدون، البغية، ج1، ص114. ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص294 وما بعدها. ابن مريم، البستان، ص28-29.

السلطان أبو سعيد عثمان أيضا التدريس بالمسجد الذي أنشأه مسجد أبي الحسن[1].

وبناءا على هذا يعد إنشاء السلطة الزيانية للمدارس إنجاز ثقافي تعليمي مكمل للإنجازات الثقافية السابقة.

- السلطة وتجديد الاستخدام السياسي للتعليم :

إن دعم السلطة للمدارس كمراكز تعليمية يدرج ضمن إنجازاتها لبناء هيكل ثقافي للدولة، وتحديد معالمه عن طريق تسييس التعليم، فتبنت السلطة الزيانية والمرينية فكرة بناء المدارس الست[2] شكلا ومضمونا، من مشروع البناء ومصاريفه إلى تعيين المدرّسين وتوفير المصدر المالي للمدرسة، والذي جعلته السلطة تحت رعاية نظام الأوقاف.

لعب الدافع السياسي دوره في إنشاء أبي حمو موسى الأول (707-718هـ / 1307-1318م) أول مدرسة بالحاضرة الزيانية[3] والتي كانت على رأس قائمة مشاريعه العمرانية التي أحدثها في بداية عهده بالحكم[4]، فكان لهذا الحدث الثقافي الثقافي -إنشاء المدرسة- الذي لم يعهده المجتمع الزياني وظهور التعليم بلون جديد أحد أشكال ظهور السلطة الزيانية وبنوع من القوة بعد فترة طويلة من الضعف أمام الاحتلال والحصار المريني لمدة ناهزت ثمان سنوات وثلاثة أشهر[5].

(1) التنسي، المصدر السابق، ص127.

(2) سيأتي الحديث عنها مفصلا.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص118. التعريف، ص31. التنسي، نظم الدر، ص 139.

(4) العمران في عهد أبي حمو الأول، ينظر: ابن خلدون، البغية، ج1، ص213. العمري، مسالك الأبصار، السفر 4، ص89. التنسي، المصدر نفسه، ص135-139.

(5) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص211-212. ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص112-113. العمري، المصدر السابق، السفر 4، ص89. التنسي، المصدر نفسه، ص130-131.

إن اهتمام السلطان أبي تاشفين (718-737هـ/1318-1337م) بالتعليم من خلال إنشاءه للمدرسة الجديدة –التاشفنية-[1] بالتوازي مع حضوره البارز في مجالسه العلمية[2] ببلاطه، حدد شكل العلاقة بين السلطة وعلماء المدرسة بالمجلس، فكان تركيزه نحو توجيه علماء المدارس وطلبتها إلى حضور مجالسه العلمية التي كان يعقدها بقصره، وإذكاءه لهذا المجال العلمي عن طريق هؤلاء العلماء.

إن استقطاب –أبو تاشفين- لهذه الفئة من المجتمع الزياني والتي كانت حاضرة في مجملها على المستوى التعليمي السلطاني، يجرنا إلى القول بأن أبا تاشفين أكد احتواء السلطة لعلماء المدارس داخل المدرسة وخارجها[3].

فنجد حضور علماء المدارس بمجلس أبي تاشفين في نص صاحب نفح الطيب وهو يتحدث عن الخلاف الفقهي الذي ناقشه بين علماء المجلس وهم: أبو عمران المشذالي[4] وأبو زيد ابن الإمام وأخوه أبو موسى والمقري نفسه حول ما إذا كان ابن القاسم مقلدّا لمالك[5]، فكان المقري آنذاك طالبا عند ابني الإمام

---

(1) التنسي، المصدر السابق، ص141. - المقري، نفح الطيب، ج7، ص169.

(2) مجلس أبو تاشفين العلمي ينظر: أبو عبد الله محمد بن سعيد أحمد السلماني لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرحه وضبطه وقدم له: يوسف علي طويل، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1423هـ/2004م، مج 2، ص134-135-136. – التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص397. المقري، نفح الطيب، ج6، ص183-184. – المقري، أزهار الرياض، ج5، ص18-20. ج5، ص18-19-20.

(3) صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791هـ/1235-1388م)، الجهاز الديني والتعليمي، رسالة لينل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، السنة الجامعية (1424-1425هـ)/ (2003-2004)، ص270.

(4) أبو موسى عمران المشذالي: من كبار العلماء البجائيين الوافدين على تلمسان، أخذ عن صهره ناصر الدين المشذالي، كان فقيها حافظا علامة، توفي (750هـ/1349م)، ينظر ترجمته ابن خلدون، البغية، ج1، ص130-131. ابن مرزوق، المسند، ص268. عمر القرافي، توشيح الديباج، ص143. الونشريسي، الوفيات، ص114. التنبكتي، المصدر نفسه، ج1، ص296. ابن القاضي، لقط الفرائد، ص196. المقري، نفح الطيب، ج6، ص187.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص134-135. أبو زكريا يحيى بن أبي عمران المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، المكتبة الوطنية، دائرة الحفظ والمخطوطات، مصلحة التصوير، رقم المخطوط: 1335. ورقة435 ظ. التنبكتي، المصدر نفسه، مج 1، ص397. المقري، نفح الطيب، ج6، ص183. أزهار الرياض، ج5، ص18.

بمدرستهما[1]، وأبو عمران كان يتولى التدريس وإدارة المدرسة التاشفينية[2].

من البديهي أن تدفع شخصية سياسية وعلمية كشخصية السلطان أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) إلى إنشاء المدرسة اليعقوبية[3] والتي تعد الثالثة في تاريخ البيت الزياني، حيث كان يرى أبو حمو بعدم خلو مجالس السلطان من الفقهاء والعلماء[4]، كما كان يركز على أفضلية إنشاء المدارس لشد معالم العلم[5]. فكرس أبو حمو سلطته لرعاية التعليم من خلال ما أنجزه للمدرسة التي أنشأها، فجعل يوم افتتحاها يوما عظيما فاحتفل به وعين فيه أبو عبد الله الشريف[6] مدرسا بها كما حضر بنفسه أول درس بها لتفسير القرآن الكريم[7]، واحتفل فيه وأطعم الناس كما حضر يوم ختم تفسير القرآن وجددا الاحتفال بالمدرسة[8] مؤكّدًا بذلك حضور السلطة واحتوائها للتعليم.

- أثر الوجود الصوفي في إنشاء المدارس:

إن الحديث عن تاريخ إنشاء المدارس بتلمسان خلال المعهد المريني يستوقفنا محل وجودها بإزاء أضرحة الصوفية والأسباب التي دفعت السلطة إلى

(1) التنبكتي، المصدر نفسه، ج1، ص397.

(2) ابن الخطيب، المصدر السابق، مج2، ص135. المقري، المصدر السابق، ج6، ص183. أزهار الرياض، ص52، ص18. عبد الحميد حاجيات، أبو موسى الزياني، حياته وآثاره، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، 1394هـ/1974م، ص159.

(3) أبو زكرياء يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، مج2، ص104. – التنسي، المصدر السابق، ص179.

(4) أبو حمو موسى بن زيان، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تونس، مطبعة الدولة التونسية، 1279، ص84، 110.

(5) أبو حمو موسى، المصدر نفسه، ص164.

(6) أبو عبد الله الشريف التلمساني: من أئمة المالكية ومجتهديهم، كان قائما على الفروع والأصول ثبتا وتحصيلا، أخذ عن ابني الإمام وابن عبد السلام، اشتغل للتدريس بتلمسان وبمجلس أبي عنان بفاس، توفي (771هـ/1369م)، ينظر ترجمته ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص120. ابن خلدون، التعريف، ص65. الونشريسي، الوفيات، ص126. أحمد ابن قنفذ، شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق محمد حجي، الرباط، مطبوعات دار الغرب للترجمة والتأليف والنشر، 1396هـ/1976م، د.ط، 84. ابن مريم، البستان، ص164 وما بعدها. المقري، المصدر السابق، ج6، ص224.

(7) التنسي، المصدر السابق، ص180.

(8) ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص136.

اتخاذ المدرسة بالقرب من الضريح، علما بأن هذه الظاهرة لم تعرفها الساحة الثقافية بتلمسان إلا خلال فترة الحكم المريني للمدينة.

فكان إنشاء السلطان أبي الحسن المريني للمدرسة والمسجد(1) بظاهر العباد بالقرب من ضريح الولي الصوفي أبي مدين شعيب(2) له عدة اعتبارات اتخذها لإضفاء الشرعية على حكمه بتلمسان، كما يعد أحد الأشكال التي حاول من خلالها تبرير الوجود المريني كسلطة محتلة وغازية للمدينة، ولتبرير كل أشكال الاحتلال التي تمس وبشكل خاص الرعية، عمل أبو الحسن على دمج الجانب الديني بالتعليمي عندما بنى المسجد والمدرسة والزاوية(3) بإزاء الضريح، وعلى الشكل نفسه أنشأ ابنه السلطان أبو فارس عنان عند ضريح الشيخ الولي الصوفي أبي عبد الله الحلوي الشوذي الإشبيلي(4) المسجد والمدرسة والزاوية(5)، ولعل السلطة حاولت بذلك جعل الزاوية تحت رقابتها(6)، كما فعلت مع المدرسة، لأنها رأت من من الضروري أن تجعل الزاوية والمدرسة ضمن مخطط عمراني واحد بحكم

(1) ابن مرزوق، المسند، ص406. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمدا لأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983، ج2، ص20.

(2) أبو مدين شعيب ابن الحسين: الأندلسي الإشبيلي الشيخ القطب الصوفي، درس بالأندلس وطنجة ومراكش وفاس وبجاية، أخذ عن جملة من علماء التصوف، فدرس علوم الغزالي على يد ابن حرزهم، وأخذ عن أبو يعزو وعبد الله الدقاق وأبو الحسن الشاوي، وعبد القادر الجيلاني، توفي بواد يسر قرب تلمسان، ودفن برباط العباد سنة 594هـ. ينظر ترجمته أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنون الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الجزائر، دار البصائر، ط1، 2007، ص7 وما بعدها. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص125-126. ابن قنفذ، الوفيات، ص296-297.

(3) لم تذكر المصادر إنشاء السلطان أبو الحسن المريني للزاوية ضمن المجمع العمراني قرب ضريح الولي أبو مدين ولقد جاء ذكرها في النص الأثري المتعلق بأوقاف المدرسة والمسجد والزاوية.

(4) أبو عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي: نزيل تلمسان كان من قضاة إشبيلية وفر إلى تلمسان في أواخر الدولة الموحدية وهو من كبار الصوفية والعلماء بتلمسان. ابن خلدون، البغية، ج1، ص120-121. ابن مريم، البستان، ص68-70.

(5) ابن الحاج النميري، فيض العباب، وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد ابن شقرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ص488.

(6) الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين /12 و13 الميلاديين، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص227.

التشابه الحاصل بين المدرسة والزاوية في بعض الوظائف مثل النظام الداخلي للطلبة[1] أو المريدين واجتماعهم لطلب العلم، وتضع الزاوية جل اهتمامها على العبادة وتعلم مبادئ الطريقة، مع العلم أن المدرسة ترفض كل أشكال الانقطاع للعبادة دون متابعة الدروس[2].

وهذا ما ذهب إليه كل من جورج مارسي ووليام مارسي من أن السلاطين قصدوا من إنشاء المدارس المغربية أن تلحق بالزوايا، وهي بمثابة اعتراف رسمي من السلطة[3].

أما الجانب الزياني فقد حاول أبو حمو موسى الثاني تقليد المرينيين عند ما قام بإنشاء المدرسة والزاوية معا[4] ولكنه جعل محلهما بإزاء المقبرة الملكية[5] التي دفن فيها والده أبو يعقوب الذي توفي بمدينة الجزائر في أوائل شعبان سنة 763هـ/ أواخر ماي 1362[6]، ونقلت جنازته إلى تلمسان برياض كانت بباب إيلان، ثم نقل إلى جواره الأخوان أبو سعيد وأبو ثابت اللذان كان مدفنهما بالعباد[7].

ولم يجعل أبو حمو المدرسة والزاوية بالقرب من الضريح الصوفي كما فعل أبو الحسن وأبو عنان، بل جعلهما بالقرب من المقبرة الزيانية التي أنشأها محاولا بذلك تخليد البيت الزياني.

---

(1) الطاهر بونابي، المرجع نفسه، ص227.

(2) الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط، د.ت، ج7، ص17.

(3) William Marçais et Georges Marçais, les monuments arabe de Tlemcen, Paris, Ancienne librairie Thorin et fils Albert Fontenaig, Edition, 1903, p271.

(4) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص104.

(5) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص104.

(6) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص103. التنسي، نظم الدر، ص179.

(7) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص104.

إن علاقة السلطة بشيوخ الصوفية وقضية إنشاء المدارس بتلمسان مسألة أخذتها السلطة الزيانية بعين الاعتبار(1)، وذلك بحكم العلاقة التي بينهما "بسبب موقف التقارب الذي اتخذته السلطة الزيانية اتجاه الوجود الصوفي، وهو ما جعل مظاهر التقدير والتبجيل والتقديس تطبع أهم صور الموقف السلطوي الزياني، في حين شكلت علاقات الود والتقارب المقابل الصوفي إزاء ذلك"(2).

وكانت علاقة السلطان أحمد العاقل (834-866هـ/1437-1461م) بالشيخ الصوفي الحسن بن مخلوف أبركان(3) الدافع الأساسي الذي كان وراء إنشاء السلطان الزياني للمدرسة بالقرب من الزاوية(4) "فلقد كانت له -السلطان- عناية عظيمة به، كما كان يكثر من زيارته ويقتبس من إشارته ومدار أكثر أموره عليه"(5).

---

(1) عبيد بواداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13-15م) دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع،د.ط، 2003، ص225.

(2) أمال لدرع، الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633هـ-1236م/962-1555)، مذكرة لنيل درجة الماجستير، تاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2006-2007، ص268.

(3) الحسن بن مخلوف أبركان بن مسعود المزيلي الراشدي: العالم الصوفي، القطب، قال عنه القلصادي في رحلته شهرته تغني عن تعريفه، كبير مشيخة الأولياء الصوفية في زمانه بتلمسان، توفي 857هـ. الترجمة مفصلة، ينظر: أبو عبد الله محمد الانصاري، فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق محمد العنابي، تونس، دار الكتب الوطنية، الناشر المكتبة العتيقة، د.ط، 1967، ص43. ابن صعد الأنصاري، روضة النسرين في التعريف الأئمة الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، الجزائر، منشور ANEP، ط1، 2002، ص125 وما بعدها. التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص174 وما بعدها. ابن مريم البستان، ص74 وما بعدها.

(4) التننسي، نظم الدر، ص248.

(5) التنسي، المصدر نفسه، ص248.

2- الظروف التي ساعدت على إنشاء المدارس :

- أحداث التقليد والمنافسة المغربية :

شكلت أحداث التقليد والمنافسة بمدن المغرب الإسلامي في فترة ما بعد الموحدين ظاهرة طبعت بها معظم أجهزة الدولة السياسية والدينية والتعليمية، فكانت أحداث التقليد والمنافسة من أهم الظروف التي ساعدت على ظهور المدرسة بالغرب الإسلامي ككل.

لقد أكد أبو حمو موسى الثاني فكرة تقليد المشارقة للتعليم باتخاذ المدارس[1] في كتابه واسطة السلوك وهو يوصي ولي عهده أبا تاشفين، بتقليد نظام الملك موضحا له كيفية اهتمامه ببناء دور العلم للفقهاء والرباطات وإنفاقه على طلبة العلم[2].

فلا يمكن استبعاد أن ظهور المدرسة بتلسمان كان من قبيل المنافسة والتقليد للمدارس الحفصية والمرينية، إذ قام أبو تاشفين بتقليد أبي عبد الله المستنصر الحفصي بإنشاء رياض أبي الفهر[3]، ومن جهة أخرى قلد المرينيين بجلب أبي الحسن علي بن الفحام[4] إلى تلمسان لصنع خزانة المنجانة تقليدا للمنجانة المغربية[5].

(1) أبو حمو موسى الزياني، واسطة السلوك، ص164-165-166.

(2) أبو حمو موسى الزياني، المصدر نفسه، ص164.

(3) رياض أبي الفهر الذي أنشأها السلطان أبو عبد الله المستنصر الحفصي سنة 648هـ، ينظر: أبو العباس ابن قنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص117-127-128. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر4، ص55. رياض أبي الفهر بتلمسان: أنشأها أبو تاشفين، ينظر: يحي ابن خلدون، البغية، ج1، ص216. التنسي، نظم الدر، ص140.

(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص119.

(5) المنجانة: ورد اسمه في المصادر خزانة المنجانة أو المنكانة، أو المنقانة وهي الساعة المتطورة التي أنشأها أبو الحسن علي ابن الفحام، وتعد من أهم الآثار الفنية للسلطان أبي حمو موسى الثاني، وصف المنجانة وشكلها، ينظر: يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص40-41. التنسي، المصدر نفسه، ص162-163.

ولقد لعبت المنافسة دورا مهما في تطوير النظام التخطيطي للمدرسة ببنائها قرب الضريح والمسجد والزاوية(1)، هذا الشكل العمراني للمدارس كان وليد التجربة المرينية بتلمسان(2) وصار تقليدا سائدا لجميع المدارس التي أنشأتها السلطة الزيانية، كما ساهمت المنافسة فيه بقدر كبير عندما جعل أبو حمو موسى المقبرة الملكية إلى جانب المدرسة والمسجد والزاوية منافسا بذلك المرينيين(3) .

ولقد شكل الميدان العلمي أهم المجالات الأكثر منافسة بين السلطتين الزيانية والمرينية بتلمسان، فكانت المجالس العلمية للسلاطين مجالا خصبا لهذه المنافسة، مع العلم أن مجالس أبي تاشفين لم تخل من كبار العلماء والفقهاء بدولته(4)، ولم يتجاوز اهتمامه بالمجلس العلمي حدود مشاركته المناظرات الفقهية مع حضور ألمع فقهاء دولته علما وتدريسا كالفقيهين ابني الإمام أبي زيد وأبي موسى، والفقيه أبي موسى عمران المشذالي، والفقيه أبي إسحاق بن الحكم السلوي(5) وطلبة العلم أمثال أحمد بن محمد المقري(6).

(1) زكية العربي راجعي، الزخارف الجدارية في المغرب الأوسط من بداية العصر الحمادي إلى نهاية العصر المريني، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، 1993، ص128.

(2) ينظر: ابن مرزوق، المسند، ص403-406.

(3) ابن خلدون، البغية، ج2، ص104.

(4) المقري، نفح الطيب، ج6، ص183-184. – أزهار الرياض، ج5، ص18-19.

(5) أبو إسحاق إبراهيم بن الحكم السلوي: من كبار الأئمة الفقهاء، ورد إلى تلسمان بعد سنة 720هـ/1320م، أخذ عن ابني الإمام، قتل عند باب المدرسة التاشفينية سنة (787هـ/1385م)، ينظر ابن خلدون، التعريف، ص62. القرافي، توشيح الديباج، ص50. التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص24-25. ابن القاضي، لقط الفرائد، ص191، المقري، نفح الطيب، ج6، 188. أزهار الرياض، ج1، ص32. أبو العباس أحمد ابن أبي العافية، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، حققه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ/2002م، ص191.

(6) المقري، المصدر نفسه، ج6، ص183-184. المقري، المرجع نفسه، ج5، ص18-19. أبو عبد الله محمد المقري التلمساني: عرف بالمقري الجد من كبار العلماء المشاهير، أخذ على عدد كبير من علماء تلمسان، اشتغل قاضي الجماعة بمدينة فاس، وتلمسان، توفي بفاس سنة 759هـ/1357م، ودفن بتلمسان، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص118-119. ابن خلدون، المصدر نفسه، ص63 وما بعدها. التنبكتي، المصدر نفسه، مج2، ص75 وما بعدها. الونشريسي، الوفيات، ص122. المقري، المصدر نفسه، ج6، ص175 وما بعدها.

من جهة أخرى تفوقت السلطة المرينية في المجال الثقافي، فوسعت نطاق مجلسها العلمي جغرافيا ليشمل أكبر علماء المغرب الأقصى والأوسط وإفريقية[1] وبالأخص تلمسان[2]، مع العلم أنها تحتوي أكبر عدد من العلماء والطلبة موزعون على مساجد ومدارس المدينة، فحاول كل من أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان استقطاب النخب العلمية التلمسانية[3]. كما تعدى اهتمام السلطة المرينية بعقد هذه المجالس للتدريس فقط، فكانت مجالا حيويا للتعليم بالحضرة السلطانية، وكان أبو الحسن لا يستغني عن فقهاء مجلسه ويصحبهم معه أينما حل وارتحل[4]، بلغ عدد علماء مجلسه نحو أربعمائة عالم وفقيه[5]، وبنفس الاهتمام بذل أبو عنان جهده في في جمع المشيخة العلمية للتحليق بمجلسه[6].

نلاحظ من خلال رواية ابن خلدون أن المجلس العلمي المريني كان مقسما إلى عدة أقسام، ومن المحتمل أن التقسيم كان قائما على أساس الدرجة العلمية لفقهاء المجلس، فكثيرا ما يذكر ابن خلدون طبقة أشياخ العلماء[7] وطبقة فقهاء المجلس[8]، وشهود المجلس وهم طلبة العلم بالحضرة[9].

إن عامل المنافسة عزز أحداث التطور الذي مر به المجلس العلمي المريني حينما اتسعت دائرة المنافسة بإنشاء السلطة المرينية للمدارس، والذي تزامن مع احتواء السلطة المرينية لعلماء وطلبة المدارس إلى مجالسها العلمية[10] من خلال

(1) ابن مرزوق، المسند، ص260. ابن خلدون، التعريف، ص20-29.
(2) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص260 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ص29 وما بعدها.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص20-32، 37-53.
(4) ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص260- 53، 68.
(5) عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج 1، ص 49.
(6) ابن خلدون، المصدر السابق، ص68. المقري، نفح الطيب، ج6، ص179-180.
(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص38.
(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص31، 47.
(9) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص43.
(10) صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791هـ/1235-1388م)، ص83.

التعليم بالمجلس ومنحهم الوظائف الإدارية والمناصب السياسية[1]، بالإضافة إلى ما قدمه لهم من الأرزاق والجرايات التي تكفيهم حضرا وسفرا[2].

أمَـرَ أبـو الحسـن المرينـي إنشـاء مدرسـة بالقـرب من ضريـح الولـي أبي مدين شعيب سنة[3] وذلك بعد مرور سبع سنوات من إنشاء المسجد[4]، كما نجح أبو الحسن المريني في ضم علماء وطلبة مدرسة أولاد الإمام الإمام والمدرسة التاشفينية إلى مجلسه، فوجود الفقيهين ابني الإمام في المجلس العلمي[5] كان سببا في انضمام أكثر طلبة مدرستهما إلى مجلسه[6].

إن أبا الحسن يقدر الوزن العلمي للفقيهين ابني الإمام داخل الوسط الثقافي التلمساني والمغربي، بالإضافة إلى ما يكنه لهما من عقيدة صالحة دفعته إلى "رفع محلهما على أهل طبقتهما وصار يجمل بهما مجلسه كلما مر بتلمسان ويفدا عليه في الأوقات التي يفد فيها أعيان مجلسهما"[7].

كما كانت لهما كل الصلاحيات في اختيار أعضاء المجلس العلمي[8]، حيث حيث أشارا على أبي الحسن باستقدام أبي عبد الله الآبلي[9] الذي كان من أوائل الطلبة الذين التحقوا بمجلسه[10] بناءا على تقدمّه في العلوم العقلية، فاتضح بروزه بقوة في العلوم العقلية والمنطق والأصلين وعلوم الحكمة[11].

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ص47.

(2) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص260.

(3) ابن مزروق، المصدر السابق، ص260

(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص51. ابن مرزوق، المسند، ص265.

(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص29-31-32.

(6) أعضاء المجلس ممن كان طالبا عند أولاد الإمام، ينظر: ابن خلدون، ص36، 47، 48، 51. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص266، 267.

(7) ابن خلدون، المصدر السابق، ص31.

(8) ابن خلدون، التعريف، ص37، 47.

(9) ابن خلدون، المصدر نفسه، 37. ابن مرزوق، المسند، ص266.

(10) ابن خلدون، المصدر السابق، ص38.

(11) ابن خلدون، المصدر السابق، ص38.

ولقد اختار ابن الإمام الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد النور التلمساني[1] الذي كان هو الآخر طالبا عند الفقيهين بمدرستهما[2]، كما لزم مجلس أبي الحسن فقهاء آخرين كانوا طلبة المدرسة ذاتها، أمثال أبو عبد لله محمد بن النجار[3] وأبو العباس أحمد المديوني[4]، هذا الأخير الذي لزم المجلس على فترات مختلفة، واستعمله أبو الحسن على شؤون الزكاة وسماع الشكايات، إلى جانب التدريس واستمر في رفع منصبه بدولته إلى قضاء تلسمان ثم قاضي الحضرة[5]، ولما ارتحل ابن عبد النور رفقة السلطان أبي الحسن إلى إفريقية ترك أخاه نائبا عنه على أشغاله مع العلم أنه كان طالبا بمدرسة أبي أولاد الإمام.

تجاوز اهتمام السلطان أبي الحسن المدرسين وطلبة مدرسة أولاد الإمام إلى المدرسة التاشفينية، فلزم المدرس والمشرف على المدرسة الفقيه أبو موسى عمران المشذالي مجلس أبي الحسن، "ولما عزم على استخلاصه وإلحاقه بعلماء حضرته أدركته الوفاة سنة 745هــ"، إلا أن أبا عنان استخلص لمجلسه أحد طلبة المدرسة التاشفينية ومدرسة أولاد الإمام وهو أبو عبد الله المقري الذي ولاّه قضاء

(1) محمد بن عبد النور التلمساني، من فقهاء المدرسين وأهل العلم بتلمسان، اشتغل بالقضاء له المختصر الحاوي في الفتاوي، توفي وهو بصحبة السلطان اتجاه تونس سنة 749. يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص121-122. بن خلدون، التعريف، ص46-47. ابن مرزوق، المسند، ص267. الونشريسي، الوفيات، ص267. المقري، نفح الطيب، ج6، ص197.

(2) ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص267. – ابن خلدون، المصدر نفسه، ص38.

(3) أبو عبد الله محمد بن النجار التلمساني من فقهاء تلمسان أشتهر بالعلوم العقلية، أخذ عن مشيخة تلمسان وابن إبراهيم الآبلي، توفي بالطاعون في تونس 749هــ. ينظر: ابن خلدون، البغية، ج1، ص119. ابن خلدون، المصدر السابق، ص48. ابن القاضي، لقط الفرائد، ص191. المقري، المصدر نفسه، ج6، ص197.

(4) أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني، كان فقيها قاضيا محدثا صالحا، وهو جد الحفيد ابن مرزوق أخذ عن ابني الإمام، تولى قضاء تلمسان على عهد السلطان أبي عنان المريني، توفي 768هــ، ينظر: ابن مرزوق، المسند، ص267. القرافي، توشيح الديباج، ص47. التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص103-104. أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسني، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط، 1991، ج1، ص303.

(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص38. – ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص267. المقري، المصدر نفسه، ج6، ص195. أزهار الرياض، ج5، ص50.

فاس[1]. كما استخلص أبو الحسن محمد ابن مرزوق العجيسي[2] الذي كان يزاول تدريسه بمدرسة أولاد الإمام ودوره العلمي كمدرس بمجلس أبي الحسن المريني، بالإضافة إلى دوره السياسي في دولة السلطان[3]. وجعله مفضى أسره وإمام جمعته، وخطيب منبره، وأمين رسالته[4].

لقد حاول السلطان أبو عنان الاحتفاظ بهذا الموروث العلمي عن والده، فعمل على تثبيت المركز العلمي لأبي عبد الله الآبلي بالمجلس وطلبه من صاحب تونس بالعودة إلى المجلس المريني[5].

واحتفظ أبو عنان بأبي العباس المديوني[6] في مجلسه وولاه قضاء تلمسان، تلمسان، كما احتفظ بعلي بن عبد النور[7] وولاة قضاء مكناسة.

- النهضة العمرانية بتلمسان :

من أهم الظروف التي ساعدت على ظهور المدرسة بتلمسان تلك النهضة العمرانية القوية التي أعلن أبو حمو موسى الأول الشروع في إنجازها فور

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص119.

(2) أبو عبد الله محمد ابن مرزوق: العجيسي التلمساني من أهل تلمسان من أسرة المرازقة الذين توارثوا خدمة ضريح أبي مدين شعيب بالعباد، ولد سنة (715هـ/1315م)، رحل إلى المشرق وقرأ على علمائها كما قرأ على علماء تلمسان، اشتغل لخدمة السلطان أبي الحسن المريني، كان عالما فقيها مشاركا في فنون العلم من أصول وفروع وتفسير وغيرها، اشتغل مدرسا بالمشرق وخطيبا، له عدة تآليف، ينظر ترجمته: ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص75. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص294. ابن خلدون، البغية، ج1، ص115. ابن مرزوق، المناقب، ص55 وما بعدها. ابن خلدون، التعريف، ص51 وما بعدها. شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه وقدم له ووضع حواشيه محمد سيد جاد الحق، القاهرة، أم القرى للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ج3، ص450 وما بعدها. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص46-74.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ص51-52.

(4) ابن الخطيب، المصدر السابق، مج3، ص75.

(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص39.

(6) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص267.

(7) أبوالحسن علي بن عبد النور: من العلماء الفضلاء الصلحاء بتلمسان، ولي قضاء تلمسان والعديد من حواضر المغرب، جالس الملوك، توفي أثناء الحج، ينظر: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص122. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص267.

اعتلائه العرش الزياني[1] والتي جاءت كردة فعل طبيعية بعد كل ما تعرضت له المدينة من حروب وكذا الحصار المريني الطويل على المدينة[2]، ويخبرنا ابن خلدون أن هذه الحملة العمرانية قد بدأها أبو زيان ثابت (703-707هـ / 1304-1308م) قبل وفاته بزمن قليل بعد استرجاعه كل أعماله بالمغرب الأوسط "فنظر في إصلاح قصوره ورياضه، ورم ما تلثم من بلده"[3].

يمكن القول عن هذه النهضة العمرانية بأنها إصلاحية[4] شملت مختلف أجهزة الدولة، فكان أول ما انصرف إليه أبو حمو إصلاح كل ما لحق المدينة من خراب[5]، واهتم بالجانب العسكري وقام بتشييد الأسوار[6] وبناء الستائر[7]، لحماية المدينة وتحصينها عسكريا وإحكام حراستها في حالة تعرضها لغارات مفاجئة.

ونظرا لما تعرضت له المدينة من أزمة اقتصادية حادة زمن الحصار دفعت أبا حمو موسى بإعادة بناء اقتصاد الدولة فقام بملأ الصناديق بالأطعمة وإنشاء المطامير وتخزين الطعام والإدام فيها، حتى أنه ملأ أبراج المدينة بالملح والفحم والحطب ولم يدع ما يحتاج إليه المحاصر إلا ووفره"[8].

---

(1) يحيى ابن خلدون، البغية، ج1، ص213. العمري، مسالك الأبصار، السفر 4، ص89-90.

(2)يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص209. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 195. العمري، مسالك الأبصار، السفر 4، ص89.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص116.

(4) التنسي، نظم الدر، ص135.

(5) التنسي، المصدر نفسه، ص135.

(6) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص212. العمري، المصدر السابق، ص89. التنسي، المصدر السابق، ص135-136.

(7) الستائر: حائط قصير د ون سور المدينة، ويسمى أيضا بالفصيل، التنسي، المصدر نفسه، ص136.

(8) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ص212. العمري، المصدر نفسه، ص89-90. التنسي، المصدر نفسه، ص135-136.

ولقد استلزم هذا النمو العمراني الأول من نوعه في تاريخ الحاضرة أن يحظى الجانب الثقافي بالاهتمام المتميز عندما قام بإنشاء أول مدرسة مختصة بالتعليم(1).

هذا ما يدفعنا إلى القول أن النشاط العمراني الذي مس معظم أجهزة الدولة ساهم إلى حد كبير في بناء الحاضرة الزيانية من جديد، ويمكن اعتبار هذه المرحلة بمثابة حجر الأساس أو القاعدة الأولى في نمو العمران بالمدينة، وذلك ما ذهب إليه العمري عندما انتقل للحديث عن عمران المدينة على عهد أبي تاشفين "ومات أبو حمو وولي بعده أبو تاشفين فزادها تحصيلا من الأقوات وتحصينا من الأسوار والآلات وبنى البنايات العجيبة الشكل والقباب الغريبة المثل والبرك المتسعة والقصور"(2)، فكان النشاط العمراني في عهده هو استمرار لما بدأه أبو حمو(3) .

إن إجماع المصادر عن ضخامة العمران على عهد أبي تاشفين يدفعنا إلى القول بأنها مرحلة عمرانية متطورة أعطت البعد الحضاري للمدينة(4) نظرا لولوعه بالمنشآت والإبداع في زخارفها وتنويعها ما بين قصور ودور ومنتزهات ومصانع. وهذا ما دفعه لإنشاء المدرسة التاشفينية والتي نجح في تزيينها وزخرفتها حتى جعلها تنافس قصوره كدار الملك ودار السرورو قصر أبي الفهر(5).

إن هذا التطور العمراني الذي شهدته المدينة بحضور قوي في عهد السلطانيين أبي حمو موسى وابنه أبي تاشفين، أعطى التعليم فرصة للظهور

(1) ابن خلدون، العبر، ج7، ص118. التنسي، المصدر السابق، ص139.
(2) العمري، المصدر السابق، السفر 4، ص90.
(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص126.
(4) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص215. ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص126.
(5) يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، ص215-216.

بمظهر التطور من خلال إنشاء المدارس وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون في مقدمته "بأن رواج العلوم وازدهارها مرتبط بكثرة العمران"[1].

لقد اهتم أبو الحسن المريني بفن العمارة بتلمسان أثناء فترة حكمه، فيخبرنا ابن مرزوق عن همته العالية وإنفاقه الكبير في البناء العمراني الثقافي[2] وإنشاء كل ما تتطلبه المدينة من مرافق أساسية كالسقايات التي أنشأها في منشر الجلد وسويقة إسماعيل[3] والقناطر، كتلك التي أنشأنها بوادي سطفسيف وقنطرة باب الجياد وغيرها، أما عن العمران الديني والتعليمي الذي تركه أبو الحسن بتلمسان فقد فاق جميع المرافق الأخرى للمدينة، فأنشأ جامع القصبة، ومسجد عند باب الحجاز وباب هنين وباب فاس [4].

لقد جاء إنشاءه للمدرسة –مدرسة أبي مدين– ضمن هذه المشاريع الدينية الضخمة لأن إنشاء المسجد بالتوازي مع بناء المدرسة قرب ضريح الولي الصوفي أبي مدين شعيب[5] أعطى لهذا المجمع العمراني البعد الديني بقربه منه[6]، وكذلك قارب وشابه إنشاء السلطان أبي عنان فكرة أبيه عندما أنشأ المدرسة بالقرب من ضريح الصوفي أبي عبد الله الحلوي الشوذي وأنشأ أيضا بالقرب منه المسجد والزاوية[7]، ويصنف النميري هذه المنشآت من أهم الآثار العمرانية والمصانع التي يعجز اللسان عن وصفها نظرا لإحكام بناءها وإبداع جمالها[8].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص322-324.
(2) ابن مرزوق، المسند، ص401.
(3) ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص417-418.
(4) ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص402-403.
(5) ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص403-404.
(6) ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص406.
(7) النميري، فيض العباب، ص488.
(8) النميري، المصدر نفسه، ص488.

المبحث الثاني : المدارس بين التأسيس وازدواجية السلطة

1- مدرسة أولاد الإمام (المدرسة القديمة):

شهد العقد الأول من القرن 8هـ/14م البداية التأسيسية للمدارس التعليمية بتلمسان، وكان ذلك على عهد أبي حمو موسى الأول، وتعد مدرسة أولاد الإمام من أهم أثاره العمرانية الجديدة والجميلة بالمدينة على حد تعبير التنسي[1]، ولعل غاية أبو حمو من إنشائه المدرسة هو العمل على تأسيس المجال العلمي المخصص لتعليم الكبار من الطلبة، وهذا بعد اقتناعه بمكانة الفقيهين ابني الإمام واقتناعه بضرورة وجود المدرسة ضمن مؤسسات الدولة.

إن سبب إنشاء أبو حمو للمدرسة يعود إلى درايته برغبة الفقيهين في الاستقرار بتلمسان والذي تعذر بسبب الحصار[2]، وتعد شهادة الكاتب المريني منديل بن محمد الكناني بمكانتهما العلمية السبب المباشر الذي حفز أبو حمو على اختطاط المدرسة لابني الإمام[3].

كما يرجع التنسي سبب إنشاء أبي حمو للمدرسة دخول الفقيهين تلمسان بعد وفاة يوسف بن يعقوب المريني، فلم ير ما يؤدي به شكر الله على النعمة من قتل عدوه وتعجيل الفرج بنهاية الحصار، إلا الاعتناء بالعلم من جهة، ومن جهة أخرى ضرورة القيام بحق العالمين بإنشاء المدرسة لهما من باب الإكرام والاحتفال بهما[4].

---

(1) التنسي، نظم الدر، ص139.

- Atallah Dahina, les états de l'occident Musulman aux XIII, XIV et XV siècles instituions gouvernemental et administratives office des publications universitaires, Alger, p316.

(2) ابن خلدون، العبر، ج7، ص118. التعريف، ص31.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص31. المصدر نفسه، ج7، ص118.

(4) التنسي، المصدر السابق، ص139. الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ص166. أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، ص435.

إن تحديد تاريخ بداية الأشغال بالمدرسة يدعونا إلى النظر في رواية ابن خلدون المتعلقة بقدوم الفقيهين إلى تلمسان مباشرة بعد وفاة يوسف بن يعقوب المريني سنة (706هـ/1306م)(1)، هذا النص الذي يؤكد فيه قدومهما أثناء عهده بالحكم "... فأوصلهما –الكناني– إلى أبي حمو واختط لهما المدرسة المعروفة بهما في تلمسان وأقاما عنده على هدي العلم وسننهم"(2).

من جهة أخرى نجد ابن خلدون يناقض هذه الرواية برواية أخرى في كتابه العبر ويذكر أن قدوم الفقيهين كان على عهد أبي زيان "فأشاد –الكناني– علي أبي زيان وأبي حمو بمكانتهم في العلم، ووقع ذلك من أبي حمو أبلغ المواقع، حتى إذا استقل بالحكم ابتنى المدرسة"(3)، ويقول المقري أن أبا زيان وأبا حمو اختصا ابني الإمام إلا أن أبا حمو كان أشد الاعتناء بهما"(4)، فيبدو من هذه النصوص أن بداية الأشغال بهذه المدرسة كانت بعد تولي أبي حمو الحكم مباشرة خلال سنة (707هـ/1307م) أي خلال السنة الأولى من حكمه(5)، وانتهت الأشغال بها سنة (710هـ/1310م)(6).

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ص31.

(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص118.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص118.

(4) المقري، نفح الطيب، ج6، ص181. أزهار الرياض، ج5، ص14.

(5) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص130. ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص118. التعريف، ص31. التنسي، المصدر السابق، ص139.

- Louis Abadie, Tlemcen au passé retrouvé, France, Edition Jacques Grandini, 1999, p62.

(6) Georges Marçais, Note sur l'épitaphe d'un savant Tlemcenien, p119.

- Abou Moussa, « fils de l'imame » revue africaine, n°59, année 1918,p119.

- A.Berque, l'Algérie terre d'art et d'histoire, a consulter sur place 1937, Alger, Cette ouvrage a été tiré sur les presses de l'ancienne imprimerie, Victor Heinty, p 180-181.

تقع المدرسة داخل المدينة من الجهة الغربية[1]، غير بعيدة عن باب كشوط[2]، بينما انفرد ابن خلدون بالقول أنها تقع بناحية المطمر[3].

إضافة إلى بيوت الطلبة[4] يوجد بالمدرسة إيوانان يمثلان قاعة الدرس، فكان لكل من المدرسين أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى إيوان خاص به للتدريس، كما أنشأ لهما منزلين لسكنى الفقيهين[5]، بالإضافة إلى المسجد الملحق بالمدرسة[6] الذي لا يزال قائما رغم اندثار المجمع المعماري الخاص بالمدرسة[7]، ويؤدي الباب الموجود في الجدار الشمالي من المسجد إلى المدرسة ويبلغ طول بيت الصلاة من الداخل تسعة أمتار وعرضه يتجاوز ستة أمتار[8]ولقد أمتار[8]ولقد تم ترميم المسجد ومئذنته ولا يزال قائما، ويطلق عليه مسجد أولاد الإمام[9].

استطاع بارجيس (Bargés) سنة 1873، من رؤية بقايا المدرسة، وهي تشمل نفس الموقع الذي ذكره يحيى ابن خلدون داخل المدينة بالقرب من باب كشوط[10].

---

(1) التنسي، المصدر السابق، هامش رقم 153، ص139.

- George Marçais, Op.cit, p119.

(2) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130. جورج مارسي، تلمسان، ص52.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص118.

(4) زكية راجعي، الزخارف الجدارية في المغرب الأوسط، ص129.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص118. – جورج مارسي، المرجع السابق، ص53.

(6) جورج مارسي، المرجع السابق، ص52

- Georges Marçais, Op.cit, p119.

(7)William Marçais et Georges Marçais, Op.cit, p186

- Hadj Omar Lachachi, le passe prestigieux de Tlemcen, ancienne capital du célèbre yaghmorac'en, fondateur de la nation, édition Ibn Khaldoun, p192.

(8) زكية راجعي، المرجع السابق، ص107.

(9) جورج مارسي، المرجع السابق، ص52.

(10)جورج مارسي، المرجع السابق، ص52.

Hadj Omar, Op.cit , p192.

2- المدرسة التاشفنية (المدرسة الجديدة):

هي ثاني مدرسة أنشأت بتلمسان[(1)]، بأمر من السلطان الزياني أبو تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1337م)[(2)]، فلا تكاد تخلو كتب التاريخ عن وصفه وصفه بحبه الشديد للبناء والتشييد، وولوعه ببناء الدور والقصور والمنتزهات بصيرا بالتشكيل والاختراع، وتعلقه بالفنون المعمارية الجميلة، والتي كانت شغله الشاغل[(3)]. من أجل ذلك "جلب من الأندلس البنائين وأسرى الروم والزلاجين والزواقين، فبنى القصور والمنتزهات وغيرها وخلد أثارا لم تكن لمن قبله كدار الملك ودار السرور، وأبو الفهر والصهريج الأعظم وكذلك شجرة الفضة"[(4)].

ويعد بناء أبو تاشفين للمدرسة الجديدة أهم إنجاز ثقافي عزز به الحركة العلمية بتلمسان، وأكبر دليل على رعايته للعلوم والفنون.

كما يطلــق عليهــا المدرسة الجديــدة للتفريق بينهما وبين المدرسة القديمة -مدرسة أولاد الإمام- وأيضا يطلق عليها بالمدرسة التاشفينية[(5)]، نسبة إلى مؤسسها السلطان أبو تاشفين، ولعله أنشأها عندما أصبح عدد الطلبة كبيرا على مدرسة ابني الإمام، وأصبحت لا تكفي إقبال الطلبة عليها باستمرار وتهافتهم على العلم[(6)].

(1) التنسي، المصدر السابق، ص 141-142. التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص43. ابن مريم، البستان، ص65. المزاري، طلوع سعد السعود، ص167.

(2) أنظر: يحيى ابن خلدون، البغية، ج1، ص215 وما بعدها. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص123 وما بعدها. التنسي، المصدر السابق، ص138-139.

(3) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص216.التنسي، المصدر نفسه، ص140-141.

(4) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص216. التنسي، المصدر نفسه، ص140-141.

(5) المقري، المصدر السابق، ج7، ص169. ابن مريم، البستان، ص65 .
Dahina, les états de l'occident, p316.

(6) عمرو الطمار، تلسمان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص128.

أما تاريخ إنشائها، فلم تشر المصادر إلى ذلك، واكتفت بالقول أنها أنشأت خلال حكم أبي تاشفين من 718 إلى737هـ/1318-1337م [(1)].

تقع هذه المدرسة في وسط المدينة على بعد 25م جنوبي الجامع الأعظم على مقربة من المقبرة الملكية التابعة للقصر القديم[(2)].

فلقد أبدع المهندسون والبنائون الأندلسيون في تصميمها وبناءها[(3)]، وأودع فيها أبو تاشفين جزءا كبيرا من زخارف قصوره، ولم يترك شيئا مما اختصت به قصوره المشيدة إلا وشيد مثله فيها [(4)]، حتى جعلها وكأنها قصر ينافس قصوره في الجمال والروعة، وقد وصفها التنسي بالمدرسة العديمة النظير [(5)].

والمدرسة تحفة فنية فريدة تضم عدة بنايات ورواقات[(6)]. وهي ذات طابع أندلسي، وفرّ فيها أبو تاشفين كل وسائل الراحة للطلبة والمدرسين[(7)].

وقد أورد المقري ما شاهده مكتوبا على دائرة مجرى الماء بالمدرسة التاشفينية[(8)] قائلا:

أنظر بعينك بهجتي وسنائـــــــي وبديع اتقاني وحسن بنائـــــــــي
وبديع شكلي واعتبر فيما ترى من نشأتي بل من تدفق مائـــــي
جسم لطيف ذائب سيلانـــــــــه صاف كذوب الفضة البيضــــــاء
قد حفّ بي أزهار وشي نمقت فغدت كمثل الروض غبَّ سماء

(1) ابن خلدون، التعريف، ص62. التنسي، المصدر السابق، ص141. المقري، المصدر السابق، ج7، ص169.
(2) التنسي، المصدر السابق، ص141. زكية راجعي، الزخارف الجدارية في المغرب الأوسط، ص131.
(3) ابن خلدون، البغية، ج1، ص216. وهامش ص230. التنسي، المصدر نفسه، ص141-142.
(4) التنسي، المصدر السابق، ص141.
(5) التنسي، المصدر نفسه، ص142.
(6) فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص141.
(7) Hadj Omar, Op.cit, p183.
(8) المقري، نفح الطيب، ج7، ص169-170.

وعلى ما يبدو فإن المدرسة التاشفنية بقيت قائمة إلى غاية الاحتلال الفرنسي، حيث شاهد القس بارجيس المدرسة بكامل جمالها وزخرفتها قائلا: "لا تزال قائمة وكذلك حسنة الصيانة"[1] كما احتفظ ببعض صورها[2].

ولكن مصير هذه المدرسة كان مؤسف، فقد تعرضت سنة 1843م للهدم الأولي في ملحقاتها التي تشغل الناحية الجنوبية والشرقية ليتم تشييد المبنى الأول للبلدية أيضا[3]، وفي سنة 1873 وبناءا على قرار الإدارة الفرنسية هدمت المدرسة بالكامل بدعوى توسيع الطرق لتكميل وتوسيع مقر البلدية[4]، هذه الأخيرة الأخيرة التي تم إنجازها سنة 1883[5]، كما أنشأ بجانبها ساحة كبرى[6].

وقبل تنفيذ هذا القرار التعسفي، حاول المهندس المعماري دوتوا (Duthoit) إنقاذ المبنى بالكامل، ولا شك أن قيامه بتنقيحات وترميمات كان الهدف من ورائها بقاء المدرسة كأحد الرموز الأثرية الحضارية لمدينة تلمسان، وتمكن هذا الأخير من الحصول على ترخيص من الوزارة على نقل جزء من فسيفسائها إلى متحف تلمسان، ومتحف الجزائر، وجزء آخر من القطع الأثرية الجميلة إلى متحف اللوفر (Louvre) الذي سلمها إلى متحف كلوني (Cluny)[7]، ولكن سرعان ما عادت هذه القطع إلى الجزائر[8] بعد أن تمكن قرار المحافظ من إعادة القطع إلى شمال إفريقيا وبالتحديد إلى متحف الجزائر ستيفان غزال (Stephane Gsell)[9].

---

(1) جورج مارسي، تلمسان، ص54.

(2) المهدي البوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر، الجزائر، مجلة الأصالة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة، مطبعة البعث، شوال، ذو القعدة، 1392. نوفمبر، ديسمبر 1972، العدد 11، ص87.

(3) Hadj Omar Lachachi, Op.cit, p183.

(4) Louis Abadie, Op.cit, p62.

(5) Hadj Omar, Op.cit, p183.

(6) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص62.

(7) Berges, Op.cit, p331.

(8) Hadj Omar Lachachi, Op.cit, p183.

(9) جورج مارسي، تلمسان، ص55.

يُعدُّ هدم المدرسة التاشفينية أحد الأهداف الاستعمارية في القضاء على المعالم الحضارية للجزائر ومحاولة طمس شخصيتها الإسلامية، ولقد تأسفت بعض الشخصيات الفرنسية من هدمها قائلة "لقد كانت خسارة لا يمكن تعويضها لتاريخ تلمسان"[1] وبالفعل كانت خسارة كبيرة لتاريخ وحضارة الزيانيين بالمغرب بالمغرب الأوسط.

3- مدرسة أبي مدين (العباد[2]) :

خلال فترة حكم أبي تاشفين تعرضت تلمسان للاحتلال والحصار المريني الذي ضربه عليها السلطان أبو الحسن سنة 737هـ/1336م، بعد أن تمكن من فرض سلطانه على المغرب وسد ثغوره[3]. وأول ما أمر بإنجازه إعادة بناء معالم معالم المنصورة[4]،كما أمر ببناء مسجد قرب ضريح أبي مدين شعيب بالعباد[5]،

(1) Hadj Omar Lachachi, op.cit, p184.

(2) عن منطقة العباد: "هذه القرية بمثابة ربض لتلمسان تقع بالجنوب الشرقي للمدينة، ويطلق عليها بالعبّاد لكثرة قبور العلماء وأهل التعريف، ولا تبعد عنها إلا بنصف فرسخ من جهة الجنوب، وموقعها فوق جبل، يذكر المؤرخون... فيه ضريح مشهور يقل أن مرابطا يحظى بتعظيم كبير مدفون فيه. قبره في المسجد الأعظم والنزول إليه بدرجات، و على مقربة من هذا المسجد توجد مدرسة ومستشفى يقصدهما المعوزون من الغرباء، وكلاهما من بناء رابع خلفاء فاس ذلك ما يشاهد مكتوبا بخط مزخرف على لوحة من مرمر فوق الباب الرئيسي". مرمول كربخال، إفريقية، ترجمة :محمد حجي، محمد زنيبر ومحمد الأخضر أحمد توفيق وأحمد علوان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرباط. ط1984.ج2، ص323. الحسن الوزان، وصف إفريقية، ج2، ص20.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص303. التنسي، نظم الدر، ص 144-145. الناصري، الاستقصا، ج2، ص 23-24.

(4) المنصورة: هي المدينة التي أمر ببنائها السلطان المريني أبو يعقوب بن يعقوب بن عبد الحق أثناء حصاره لتلمسان سنة 702هـ/1302 وهي تقع بالقرب من السور الذي ضربه لحصار تلمسان، وأمر الناس بالبناء فابتنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة، وأمر باتخاذ الحمامات والفنادق والمارستان، كما شيد بها جامعا واستبحر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل إليها التجار من كل مكان، حتى صارت من أعظم الأمصار بالمغرب خربها بنو زيان بعد وفاة السلطان أبو يعقوب سنة 705هـ. أنظر :

- يحيى ابن خلدون، البغية، ج1، ص210. ابن خلدون، العبر، ج7، ص262. ابن سراج الأندلسي، الحلل السندسية، ج1، القسم 4، ص1017. الناصري: المصدر السابق، ج2، ص24. صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط 1986، ص115.

بالعباد[1]، هذا الأخير الذي تم بناؤه سنة (739هـ/1338م) [2]، وأمر ببنـــاء مدرسة بالقرب من المسجد [3].

وهي ثالث مدرسة أنشأت بعد مدرسة أولاد الإمام والمدرسة التاشفنية، وعليه تعد هذه الأخيرة –مدرسة أبي مدين– من أضخم وأهم الإنجازات العمرانية والتعليمية للمرينيين بالمدينة. وقد أنشأت سنة (747هـ،/1347م)[4]، أي بعد ثمان سنوات من بناء المسجد[5].

وعلى غرار ما سبق فإن المدرسة تقع بظاهر العباد الفوقي بإزاء الجامع[6] الجامع[6] ضمن المجمع المعماري الذي أنشأه أبو الحسن المريني، وهذا المجمع يتكون من مجموعة من المباني السكنية التي تتجمع بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب، بالإضافة إلى المسجد والمدرسة[7].

وفي انتقالنا للحديث عن الموقع الجغرافي للمدرسة من هذا المجمع يمكننا القول أنها تتصل بالمسجد من جهته الغربية مباشرة فوق هضبة صغيرة أعلى منه، وكأنها ذات ثلاث طوابق، وهذا العلو الطبيعي زاد المدرسة شموخا، كما يفصلها عن المسجد الرواق[8] المحيط به من جهاته الأربع[9].

(1) ابن مرزوق، المسند، ص406.

(2) جورج مارسي، تلمسان، ص79.

(3) ابن مرزوف، المصدر نفسه، ص406. الحسن الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص24. مرمول كربخال، المصدر نفسه، ج2، ص323.

(4) هذا ما تؤكده جميع المراجع، غير أن عبد الحميد حاجيات يذكر أنها تأسست بتاريخ 748هـ..

(5) جورج مارسي، تلمسان، ص79.

- A.Berque, l'Algérie terre d'art et d'histoire p196.

(6) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص406. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24. مارمول كربخال، المصدر نفسه، ج2، ص324.

(7) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24. مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص323.

(8) G.W.Marçais, les monument arabe de Tlemcen, op.cit, p274.

(9) العربي لقريز، مدارس السلطان أبي الحسن علي، مدرسة سيدي أبي مرين نموذجا، دراسة أثرية وفنية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، شعبة الفنون الشعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2000-2001، ص61.

أما ما تعلق بكنيتها، فترجع نسبة إلى الولي أبي مدين شعيب، لأنها أنجزت بالقرب من ضريحه، وكذلك المسجد الذي يحمل نفس الاسم. ويطلق عليها أيضا مدرسة العبَّاد، وذلك لوجودها بمنطقة العبّـــاد، أما حاليا فتسمى المدرسة الخلدونية نسبة إلى عبد الرحمن بن خلدون الذي انتصب للتدريس بها سنة 746هـ(1).

ويمكن القول أن المدرسة تحفة فنية رائعة(2)، نصل إليها بعد صعود السلم مباشرة إلى بهو صغير يقابل باب المدرسة، تعلو واجهة الباب زخارف وأقواس متنوعة(3).

ولها صحن مستطيل الشكل، يتوسطه حوض أو صهريج ماء من الرخام المنحوت والمتحرك بساقية محفورة على أرضية الصحن لجلب الماء الفائض من النافورة المتمثلة في الحوض الصغير(4) الذي يستعمل للشرب والوضوء(5).

ويقابل الحوض مباشرة قاعة كبيرة تتسع لحلقة كبيرة مخصصة للصلاة وإلقاء الدروس، وهي تتسع لعدد كبير من الطلاب(6)، كسيت جدران قاعة الدرس بفسيفساء رائعة ذات زخارف هندسية بالغة الجمال والروعة، حيث يوجد في نهاية الجدار المزخرف حزام خزفي، ويحتوي المحراب من الداخل والخارج على زخرفة هندسية، ويوجد في الأسفل منه بلاطات تعود إلى العهد التركي، ويحيط بالمحراب شريط زخرفي بخط مغربي من الجانبين، يقرأ من اليمين إلى اليسار "وَمَا أمِرُوا إلا لِيَعبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حنُفَاءَ ويُقِيمُوا الصلاَةَ ويُوتوُا الزَكَاةَ وذَلِكَ دِينُ القِيمَة"، كما يعلو المحراب كذلك زخارف تحمل اسم الجلالة "الله"، "الحمد"، "البركة"(7).

(1) عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف، ص 24-245.
(2) الحسن الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص24.
(3) G.W.Marçais, Op.cit, p274.
(4) العربي لقريز، مدارس أبي الحسن، ص63.
(5) فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص143.
(6) G.W.Marçais, Op.cit, p275.
(7) العربي لقريز، المرجع نفسه، ص65-66-67-68-70.

أما سقف القاعة يحتوي على قبة خشبية تتكون من عدة سوالف تلتقي عند نجمة أفقية، والإطار الخشبي به كتابة بخط مغربي عبارة عن أبيات شعرية يثنى على مؤسس المدرسة، وهي كالتالي[1] :

الحمد لله رب العالمين

بَنَاني كَي قِيمَ لدي دينـَـــا	الإسلام أمير المسلميــــن
أبو الحسن الذي فيه المزايــا	تفوق النظم بالدم الثمينــا
إمام لا يعبر عن وصــــــي	بما أجرى من الأعمال دينا
سبيل أبي سعيد ذي المعــالي	أقر إلى الأنام بها عيونــا
وقد سماه خالقــه عليــــا	فأعلاه أعطاه يقينـــــــا
أبان بالصالحات منه دينــا	وإيمانا ليكون له معينــــا
لشهر ربيع الثاني لسبــــع	خلون من السنين وأربعينا
إلى سبع ميين فدام سعــــر	محوله مقاصده فنونــــــا
وكان له إلا له على ايصال	على مرضاته دائما معينا[2]

(1) العربي لقريز، المرجع نفسه، ص88

(2) العربي لقريز، مدارس أبي الحسن، ص72. المهدي البوعبدلي، خزائن الثقافة، ص88.

- G.W.Marçais, Op.cit, p 277-278.

4- مدرسة سيدي الحلوي :

يعد إنشاء السلطان أبو فارس عنان لمدرسة سيدي الحلوي أحد أهم الآثار العمرانية الهامة في تاريخ المرينين بتلمسان، ولقد جاء إنجاز هذه المدرسة ضمن جملة من المنشآت العمرانية التي أمر السلطان ببناءها قرب ضريح الشيخ الصوفي أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي[(1)]. وتشمل هذه المنشآت المسجد الذي أنشأ أولا[(2)]، والذي أطلق عليه ابن الحاج "بجامع الخطبة الأعظم"[(3)] في حين تشير الكتابة الأثرية للمسجد "جامع ضريح الولي الرضي الحلوي"[(4)]، ثم أنشأ بالقرب منه الزاوية والمدرسة[(5)].

وكان سبب إنشاء السلطان أبي عنان للمدرسة وكذلك المسجد والزاوية بغية التقرب من الشيخ ونيل بركته والاعتناء به[(6)]، مع العلم أن شهرة الشيخ الحلوي زادت بعد إقامة هذه المنشآت على ضريحه[(7)].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام، لماذا اختار أبو عنان ضريح الشيخ الصوفي الحلوي ليقيم عليه هذه المنشآت التعليمية؟، هل كان ضريحه أكثر مزارا من الأضرحة الأخرى وسط عامة تلمسان؟ أم كانت للسلطان أبي عنان

(1) يحيى ابن خلدون، البغية، ج1، ص129-130. ابن مريم، البستان، ص68-69-70.

(2) ابن الحاج النميري، فيض الغياب، ص488. رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائر، ترجمة إبراهيم شبوح، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والمكتبة الوطنية، 1979، 1999، ص97-99.

(3) ابن الحاج، المصدر نفسه، ص488.

(4) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص97-99.

(5) ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص488. ابن مريم، المصدر السابق، ص25- 33، 35. يذكر المهدي البوعبدلي أنه توجد كتابة أثرية ثالثة عن المسجد وفيها كلمة ممحوة وقد بنى أبو عنان زاوية ومدرسة قرب المسجد الجامع..." ص89.

(6) ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص488.

(7) الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص152.

ميول لطريقة الشيخ –الطريقة الشوذية[1]–؟ مع العلم أن أبا عنان كان له اعتناء بشعر ابن خميس التلمساني والذي كان أحد المنتمين إلى الطريقة الشوذية[2].

إن وجــود المدرســة بالقرب من ضريح الحلوي كان سببا في نسبتها إليه –بمدرسة سيدي الحلوي–، رغم أنها أقيمت في الأصل لتخليد ذكراه[3].

أما تاريخ إنشاء المدرسة فيمكن القول أن الأشغال بدأت في حدود سنة 754هـ أو بعدها بقليل لأن هذا التاريخ هو بداية الأشغال ببناء المسجد حسب ما أكدته الكتابة الأثرية الخاصة بجامع سيدي الحلوي[4].

وعليه فإن المدرسة تقع عند ضريح الشيخ الحلوي والموجود خارج باب علي[5] في الجهة الشمالية للمدينة، وبالتحديد عند باب الحلوي[6]، وموقع المدرسة المدرسة من هذا المجمع العمراني جعلها تتصل بالزاوية الملاصقة للمسجد من جهة الجوف[7]، ولقد وصف ابن الحاج النميري المدرسة بقوله: "... والمدرسة متعددة البيوت، رفيعة السموت، بديعة النعوت، وبها أبواب تشرع إلى ديار كاملة المنافع، حسنة المقاطــع معينــة للرؤساء القائمين بالوظائف المتولين لأرجاء البادي والعاكف..." [8].

(1) الطريقة الشوذية: نسبة إلى مؤسسها أبي عبد الله الشوذي الحلوي، ويتجه أصحاب هذه الطريقة بالوحدة المطلقة أي أن الله هو مجموع ما ظهر وما بطن ولا شيء سوى ذلك وكل ما نراه في الوجود هو أوهام يعقدها الضمير والإنسان مؤلف من حق وباطل، فإذا أسقط الباطل المتسبب الوحيد في هذه الأوهام بأنواع المجاهدات لم يبق سوى الحق الذي يحل في ذات الإنسان، ينظر: الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص147، وما بعدها.

(2) الطاهر بونابي، المرجع نفسه، ص149.

(3) الطاهر بونابي، المرجع نفسه، ص152.

(4) رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد، الجزائر، ص97.

(5) يحيى ابن خلدون، البغية، ج2، ص 129.

(6) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص90.

(7) ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص488.

(8) ابن الحاج، المصدر نفسه، ص488

كما وصف عبد الله بن الصباح الأندلسي جمال مدرسة سيدي الحلوي قائلا "إنها جنة في الأرض فيها الإطعام من الحلال الموقوف من وقوف الصالحين"[1].

أما مصير المدرسة فلا يوجد أي نص يعطينا الفترة الزمنية التي اندثرت خلالها، يقول المهدي البوعبدلي أنها اندثرت خلال العهد التركي ويستدل بزيارة ليون الإفريقي، لتلمسان في أوائل القرن العاشر الهجري والذي وجد أثناء رحلته خمس مدارس بتلمسان فيرى البوعبدلي أنه يمكن أن تكون هذه المدرسة قد اندثرت خلال هذا العهد[2]، في حين يوجد نص آخر لعبد الله بن صباح الأندلسي في رحلته يؤكد فيه أن المدرسة خلال القرن 10هـ/16م كانت قائمة تقوم بالتدريس وإيواء الطلبة وأبناء السبيل[3].

(1) عبد الله بن صباح الأندلسي، رحلة ابن صباح المسماة منساب الأخبار وتذكرة الأخيار، مخطوط دار الكتب التونسية رقم 2295، ص62. نقلا عن الطاهر بونابي، المرجع السابق، هامش (2)، ص152.

(2) المهدي البوعبدلي، المقال السابق، ص90.

(3) عبد الله صباح، المصدر نفسه، ص62.

5- المدرسة اليعقوبية :

بعد عودة البيت الزياني إلى الحكم سنة 760هـ/1359م على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني[1] نجده قد أضاف إلى جانب الصروح الثقافية بالمدينة مدرسة أخرى تعد الخامسة بتلمسان.

إن تجاوز اهتمام أبو حمو العلوم العقلية والنقلية وتفوقه في الشعر والنثر إلى مرحلة التأليف في السياسة الملوكية وتنظيماتها من خلال كتابه واسطة السلوك في سياسة الملوك دلالة واضحة على تفوقه العلمي الذي كان أحد العوامل التي حفزته لإنشاء المدرسة.

أما السبب الرئيسي الذي دفع أبو حمو لإنشاء المدرسة فهي في رأي يحيى ابن خلدون ترجع لوفاة والده أبي يعقوب سنة 763هـ/1362م[2]. وإقامة مدفنه برياض باب إيلان ثم نقله لرفات عميه السلطانين أبي سعيد وأبي ثابت فكان هذا أهم سبب لإنشائها "شرع لحينه في بناء مدرسة وزاوية على قبورهم"[3].

هذه الرواية يمكن اعتمادها اعتبارا بما ذكره يحى ابن خلدون مؤرخ السلطان أبي حمو الذي كانت إنجازاته محل اهتمامه في كتابه البغية، في حين يرى أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون أن سبب إنشاء السلطان للمدرسة هو اعتنائه بالفقيه أبي عبد الله الشريف المقيم بتلمسان "وله بنى مدرسته الكريمة الذي كان به حفيا ومكرما" أما التنسي فنجده قد حاول الجمع بين النصين أخذا كلاهما سببا في إنشاء المدرسة، وذلك من خلال نقله للنص نفسه من كلام عبد الرحمن بن خلدون أنه بنى له- أبي عبد الله الشريف- المدرسة حين توفي والده أبو يعقوب [4].

(1) مجهول، زهر البستان، ورقة 83ظ. نقلا عن صابرة خطيف، فقهاء تلمسان، ملحق رقم 10، ص276. ابن خلدون، العبر، ج7، ص480.

(2) يحي ابن خلدون، البغية، ج2، ص103.

(3) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص 104.

(4) التنسي، نظم الدر، ص 179.

بدأت أشغال بناء المدرسة (سنة 763هـ/1362م)[1]، وكان تدشينها في الخامس من شهر صفر سنة 765هـ/1364م[2].

وتخليدا لروح والده أطلق عليها أبو حمو اسم "المدرسة اليعقوبية"، وهذا ما أكده ألفرد بل "...اليعقوبية لقبا لاسم أبيه رحمه الله هو مؤرخ في الرخامتين في باب المدرسة..." [3].

وتقع المدرسة في وسط المدينة[4] وبالتحديد عند باب إيلان[5] وبالقرب من مسجد إبراهيم المصمودي[6]، وهي تحتل موقعا جغرافيا هاما مثلها مثل المدرسة التاشفينية ولا يفصلها عن المسجد سوى 60 مترا فهي تقع إلى الشمال من المسجد المذكور[7]. ولا تكاد المدرسة تنفصل عن المقبرة الملكية الزيانية المعروفة بروضة ملوك آل زيان التي أقامها أبو حمو مدفن والده وعميه[8]، كما دفن بهذه الروضة الشيخ إبراهيم المصمودي المتوفي في سنة 805هـ[9].

وقد انفرد صاحب زهر البستان بوصف شكلها المعماري قائلا: "...مدرسة مليحة البناء، واسعة الفناء، بنيت بضروب من الصناعات، ووضعت

(1) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص104.

(2) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ص136.

(3) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، هامش رقم 05، ص104.

(4) التنسي، المصدر السابق، هامش رقم 399، ص179.

(5)يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ص104.

(6) زكية راجعي، الزخارف الجدارية بالمغرب الأوسط، ص121. إبراهيم بن محمد المصمودي: من كبار العلماء الصلحاء بتلمسان، قرأ بفاس على الكثير من العلماء منهم الشيخ الآبلي وبتلمسان قرأ بالمدرسة اليعقوبية على أبو عبد الله الشريف التلمساني، وبعد وفاته انتقل إلى المدرسة التاشفينية فقرأ على أبو سعيد العقباني، توفي سنة (803هـ/1303م)، ينظر ترجمته ابن صعد التلمساني، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، دراسة وتحقيق بلحاج محمد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، 2007-2008، ج1، ص95-96. الونشريسي، الوفيات، ص135. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص42/ كفاية المحتاج، ج1، ص99. ابن القاضي، درة الحجال، ص95.

(7) زكية راجعي، المرجع نفسه، ص130.

(8) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص104. الونشريسي، الوفيات، ص135.

(9) المقري، نفح الطيب، ج8، ص315. يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، هامش رقم (05)، ص104.

في أبدع الموضعات، سمكها بالأصبغة مرفوع، وبساط أرضها بالزليج مرسوم، وحيطانها بالصناعة موشات وزليج أزهارها من أبدع الشيات... ووضع فيها صهريجا مستطيلا وعلى طرفيه من الرخام، فيالها من بناية ما أبهجها.. وأحسنها شكلا وأجملها..." (1).

وعلى غرار شاكلتها من المدارس فقد تهدمت معظم أجزاء هذه المدرسة في العهد التركي(2)، وهناك من قال أنها ظلت قائمة إلى العهد الفرنسي فاستعملت كثكنة للجنود(3).

ولعل ما جاء به بارجيس في وصفه للمدرسة سنة 1846م، كان مصدرا اعتمد عليه المتخصصون في القول بوجود المدرسة في ذلك الموقع، فقد قال عن المكان الذي وصفه أنه عبارة عن مدخل تذكاري يقع بالقرب من المسجد وهو من الحجر، فيه قطع من الأجر الأخضر اللون، ونظمت هذه القطع على شكل خطوط متشابكة، كما رأى في الجزء الأدنى من المدخل زخرفة التوريق بلغت الغاية من الدقة والجمال، وزينت واجهة المدخل من الأعلى بنقش كتابي يتضمن بعض الآيات القرآنية من سورة النصر.

ومما يؤسف له أن بارجيس لم يفكر في التعرف على كل المباني التي كانت قائمة أمامه لأنه اعتقد أن هذا المبنى كان مجاورا لمسجد أبي الحسن (4).

وقد تم الهدم الكلي للمدرسة من طرف السلطات الفرنسية ولم يبق منها إلا مسجد الشيخ إبراهيم المصمودي. كما شاهد بروسلار بعض بقايا المدرسة ويحتفظ متحف تلمسان بلوحة من الرخام عثر عليها بين بقايا المدرسة وتتضمن قائمة بالموارد المالية المخصصة لتأمين حاجيات الطلبة والأساتذة (5).

(1) مؤلف مجهول، البستان، ورقة83/ظ. نقلا عن صابرة خطيف، فقهاء تلمسان، ملحق رقم 10، ص276.

(2) زكية راجعي، المرجع السابق، ص130-131.

(3) Hadj Omar lachachi, Op.cit, p195.

(4) زكية راجعي، المرجع السابق، ص130-131.

(5) زكية راجعي، المرجع السابق، ص131.

6- مدرسة الحسن بن مخلوف أبركان :

تعد هذه المدرسة السادسة بتلمسان، أنشأها السلطان أبو العباس أحمد المعتصم بالله المشهور بالعاقل (834-866هـ/1437-1461م) للشيخ الصوفي أبي علي الحسن بن مخلوف أبركان [1] المشهور بالولاية والعلم والزهد[2].

وكانت رغبة السلطان في نيل بركة الشيخ السبب الرئيسي لإنشاء المدرسة وهي محاولة صريحة منه للتقرب إلى الشيخ، والتي اعتبرها التنسي أحد مظاهر رعاية السلطان للشيخ الصوفي أبركان الذي "كان يكثر من زيارته ويقتبس من إشارته ومدار أكثر أموره عليه"[3]،

وكان السلطان يتردد عليه حتى في مجلس تدرسيه، كما كان يشكو إليه همومه[4].

فكانت مظاهر الامتنان هي السبب المباشر التي يكنها السلطان أحمد العاقل الشيخ أبركان لقيامه بإنشاء المدرسة بزاويته واعتنائه بأوقافها[5].

أما محمود بوعياد فينفي إنشاء السلطان للمدرسة بزاوية الشيخ الحسن بن مخلوف أبركان، ويشير إلى غموض العبارة التي ورد فيها إنشاء المدرسة ويقول أن فعل –بنى- أستعمل في غير مكانه، ويرى بأفضلية استعمال لفظ رمم، ويبرر قوله أن المقصود بالمدرسة الجديدة هو الاسم الثاني للمدرسة التاشفينية [6].

(1) التنسي، نظم الدر والعقيان، ص248.

(2) ابن صعد، روضة النسرين، ص 125 وما بعدها،- أبو الحسن علي القصادي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، بدون طبعة، ص108 - ابن مريم، البستان، ص74 وما بعدها.

(3) التنسي، المصدر السابق، ص248.

(4) ابن مريم، المصدر السابق، ص87-88.

(5) التنسي، المصدر السابق، ص248-249.

(6) التنسي، المصدر السابق، هامش رقم 680، ص248.

إضافة لنص التنسي نؤكد وجود المدرسة بنصوص ذكرها ابن مريم في بستانه بعدة مواضع[1]، باعتبار أنها مدرسة قائمة للتدريس كبقية المدارس الأخرى.

وفي ظل غياب النص التاريخي أو الأثري الذي يعطينا السنة بالتحديد التي تم فيها إنشاء المدرسة، نكتفي بالقول أنها أُنشأت خلال حكم السلطان الزياني أحمد العاقل (834-866هـ/1431-1461م) [2].

(1) ابن مريم، المصدر السابق، ص17، 90-240.

(2) التنسي، المصدر السابق، ص 247-248-249.

- المدرسة بين القبول والرفض:

لقد أحدث ظهور المدرسة واختصاصها بالتعليم نوعا من تضارب الآراء في الوسط العلمي بتلمسان بين مؤيد ورافض، ويتضح الموقف المؤيد من خلال الكتابات السلطوية، فقد حاول مؤرخو البلاط الزياني والمريني إبراز شخصية السلطان المحبة للعلم والدين من خلال إنشائهم للمدارس، حيث صرح ابن مرزوق التلمساني في مسنده عن رأيه الخاص الذي يعتبر المدرسة أحد أبواب المعونة وسبب اكتفاء المؤونة لطالبه: "فلا يحفظ العلم إلا بمعونة طلابه على طلبه وبعثهم على تعليمه وتعلمه فإن تعليمه وتعلمه يمنعان من التسبب ويقطعان عن الطلب"[1].

عبّر مؤرخ البلاط الزياني يحيى ابن خلدون عن رأيه في المدرسة اليعقوبية قي القسم الثاني لمؤلفه الذي خصصه للسلطان أبي حمو موسى الثاني محاولا بذلك تخليد كل منجزاته، بإبرازه أهمية المشروع بالنسبة لأبي حمو الذي أولى المدرسة عنايته الخاصة [2].

أما أبو عبد الله التنسي[3] يصرح بموقفه المؤيد للمدرسة عبرّ فيه عن تحقيق رغبته في الاشتغال بالتدريس في المدرسة اليعقوبية الذي كان بفضل بركة دعاء شيخه الحسن بن مخلوف أبركان[4]، كما أنه جعل محلا خاصا للحديث عن

---

(1) ابن مرزوق، المسند، ص405.

(2) يحيى ابن خلدون، البغية، ج2، ص104، 136.

(3) أبو عبد الله محمد التنسي: الفقيه الحافظ الأديب من كبار علماء تلمسان قرأ على الشيخ الحسن ابن مخلوف أبركان، وأبو الفضل ابن مرزوق الحفيد، والإمام قاسم العقباني وغيرهم، كان حافظا للتاريخ والأدب والشعر، له عدة فتاوى في المعيار من تآليفه، نظر الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، وكتاب الطراز في ضبط الخراز، وكتاب راح الأرواح في ماقاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح، وله تعليق على ابن الحاجب الفرعي وجواب مطول عن مسألة يهود توات، توفي سنة (899هـ/1493م)، ينظر ترجمته: ابن صعد، روضة النسرين، ص125-126. القرافي، كفاية المحتاج، ص 215. التنبتكي، نيل الابتهاج، مج، ص186. ابن القاضي، درة الحجال، ص205. محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1 1424هـ/ 2003م،ج1، ص85-86.

(4) ابن صعد، روضة النسرين، ص141.

المدارس الزيانية في نظمه وأدرجها ضمن مآثر السلطان[1] معتبرا إياها من أهم الإنجازات العلمية والدينية للسلطان، والتي ابتغى فيها الأجر والثواب ورعاية العلم، وغالبا ما كان التنسي يؤخّر الحديث عن المدارس، باستثناء المدرسة التاشفينية التي قدم ذكرها وجعلها ضمن جملة المنشآت المعمارية التي غيّر بها أبو تاشفين ملامح المدينة عمرانيا [2].

وجاء ذكر مدرسة الحسن بن مخلوف في معرض حديث التنسي عن السلطان أبي العباس أحمد العاقل، والتي اعتبرها أهم مشروع قام به هذا الأخير اتجاه الشيخ الحسن أبركان الذي يعتبر من أشهر أولياء الله الصالحين في عصره[3].

أما الموقف المعارض والمشهور من المدرسة هو موقف الشيخ محمد بن إبراهيم الآبلي الذي قال: "إنما أفسد العلم كثرة التآليف، وإنما أذهبه بنيان المدارس"[4].

ولقد عقَّب عليه المقري مؤيدا موقفه بقوله: "وأما البناء فلأنه يجلب الطلبة إلى ما يرتب فيه من الجرايات، فيقبل بها على من يعينه أهل الرياسة للإجراء والإقراء منه، أو ممن يرضى لنفسه الدخول في حكمه، ويصرفون عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون إلى ذلك، وإن دعوا لم يجيبوا وإن أجيبوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم"[5]. فإذا كان ترتيب الأرزاق والمنح للطلبة والرواتب للمدرسين الدافع الذي جعلهم يلتحقون بالمدرسة وهو الرأي الذي يفسر به ابن

(1) التنسي، نظم الدر، ص139-179.

(2) التنسي، المصدر نفسه، ص140-141.

(3) التنسي، المصدر نفسه، ص248.

(4)التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص68-69. المقري، نفح الطيب، ج6، ص226. ابن مريم، البستان، ص216-217.

(5) المقري، المصدر السابق، ج6، ص226.

خلدون سبب التحاق الطلبة بالمدارس[1] فكيف يمكن أن نفسر التحاق كل من الآبلي وأبي عبد الله المقري بمدرسة أولاد الإمام[2].

أما بالنسبة لما تقدمه المدرسة من الأرزاق والرواتب، فنجد الشيخ الحسن بن مخلوف أبركان يرفض كل ما يقدم إليه من أحباس المدرسة، حتى صار يدعو في آخر عمره أن يقبضه الله إليه قبل أن يأكل من أحباس المدرسة[3].

ونجد عند ابن مريم من خلال نص آخر يذكر فيه موقف الشيخ أبركان الرافض للمدرسة بقوله "وكان يكره المدرسة كراهة شديدة"[4]، وهذا الرفض يمكن تفسيره كون الشيخ الحسن من "أهل الزهد والورع"[5]، كما كان يرفض كل عطاء مادي يقدم له من قبل السلطة[6]، ولقد أورد ابن مريم موقف الشيخ من المدرسة بعد ذكره قدوم السلطان أبي فارس على تلمسان وأرسل للشيخ خمسة آلاف شاه يطلب منه أن يفرقها على المساكين فرفض الشيخ ذلك[7]، كما رفض الشيخ محمد محمد بن يوسف السنوسي[8] الأخذ من غلات مدرسة الحسن أبركان، وكتب إلى السلطان كتاب مطول يعتذر فيه، وكان إعراضه من باب الزهد عن الدنيا[9]، وكذلك كان أبو عبد الله الشريف التلمساني لا يؤخذ المرتب في مدرسته ولا في غيرها عندما كان طالبا إنما كان ينفق من مال أبيه ويكتفي به"[10].

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص323.

(2) ابن خلدون، التعريف، ص22-36. المقري، المصدر السابق، ج6، ص181.

(3) ابن مريم، المصدر نفسه، ص 90.

(4) ابن مريم، المصدر نفسه، ص90.

(5) ابن صعد، روضة النسرين، ص125 وما بعدها. ابن مريم، المصدر السابق، 74 وما بعدها.

(6) ابن مريم، المصدر نفسه، ص89-90.

(7) ابن مريم، المصدر نفسه، ص90.

(8) أبو عبد الله محمد ابن يوسف السنوسي: إمام في العلوم العقلية فقيه، محدث له عدة مؤلفات في المنطق، وهو مشهور بتآليفه الكثيرة، أخذ على الكثير من علماء تلمسان توفي (895هـ/1489م)، ينظر ترجمته التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص231 وما بعدها. ابن مريم، المصدر السابق، ص238 وما بعدها. ابن القاضي، درة الحجال، ص204.

(9) ابن مريم، المصدر نفسه، ص240.

(10) ابن مريم، المصدر نفسه، ص175.

الفصل الثاني

النظام الإداري والمالي للمدارس

- المبحث الأول: النظام الإداري
- المبحث الثاني: النظام المالي للمدارس

المبحث الأول : النظام الإداري للمدارس

كان من الضروري وجود نظام إداري خاص بالمدرسة تخضع من خلاله لتنظيم محكم، يتعين فيه تسيير المدرسة لتحديد الوظائف بها وشروط القائمين عليها، كما يتم تعيين المدرسين في مناصبهم التعليمية، ويسند إلى النظام الإداري للمدرسة تحديد شروط التحاق الطلبة بها وكل ما يرتبط به من شروط الإقامة وغيرها.

1- موظفو المدرسة :

لقد استلزم قيام المدرسة كمؤسسة مختصة بالتعليم إلى تعدد المرافق بها نظرا لما تحتاج إليه من خدمات، وضرورة وجود فريق من الموظفين والعمال يقوم بجميع مستلزماتها ويسهر على راحة المقيمين بها[1]، فجعلت السلطة تعدد الوظائف بالمدرسة تحت رعايتها، إذ نجد إشراف السلطان أبي حمو موسى الثاني على رسم جميع الخطط بالمدرسة اليعقوبية[2]، وهو تأكيد لحضور السلطة في صياغة القوانين الخاصة بهذه المؤسسة، وتنظيمها إداريا وفقا لمتطلبات المدرسة.

ويعدّ المدرّس أول من يتعين على السلطة تنصيبه، وهو الذي يتولى تدريس العلوم الشرعية[3] والعقلية أو يتولى تدريس فن من فنون العلم في بعض فصول السنة أو جلها[4]، ولقد ورد في المعيار عدة ألقاب للمدرس، كالأستاذ، أو الفقيه

(1) محمد المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، ص202.

(2) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص136.

(3) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1405هـ-1985، ج5، ص464.

(4) الونشريسي، المعيار، ج7، ص348.

والنحوي، والمقرئ، وكلهم قائمين بوظائفهم في السلك التعليمي بالمدرسة[1]، في حين لم نعثر من خلال استقرائنا للمصادر المتعلقة بالواقع الثقافي لتلمسان على هذه الوظائف، فكان المدرس يتولى التدريس منفردا، إلا في بعض الحالات كمدرسة أولاد الإمام التي اشترك للتدريس بها كل من الفقيهين الأخوين أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى مع العلم أنه كان لكل منهما إيوان خاص به للتدريس[2]. ومن جملة ما كان يدرسانه الفقه والأصول وعلم الكلام والحديث، كما برز أبو زيد في تدريسه للفقه[3]. واشتغل بتدريس التفسير، ومن جهة أخرى كان أبو موسى يميل إلى تدريس العلوم العقلية[4]، وهذا لا ينفي تدريسه لعلوم أخرى وكذلك بالنسبة للمدرسة التاشفنية التي عين للتدريس بها أبو تاشفين الفقيه أبا موسى عمران المشذالي، وعين أبو حمو الفقيه أبا عبد الله الشريف التلمساني بالمدرسة اليعقوبية، وجعلت السلطة مناصبهم للتدريس انفرادية[5].

ذكر التنسي عنايته بتفسير القرآن الكريم أثناء اشتغاله بالمدرسة اليعقوبية، وهذا لا يعني اختصاصه بمادة التفسير، فقد ذكر أبو عبد الله ابن العباس ابن الإمام[6] أنه لزم مجلسه فقرأ عليه التفسير والحديث والفقه والعربية وغيرها من العلوم[7]، ولعل التنسي قصد بذلك تدريس التفسير بصفة يومية[8].

---

(1) محمد المنوني: ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، ص202.

(2) ابن خلدون، العبر، ج7، ص118.

(3) المقري، نفح الطيب، ج6، ص173. وما بعدها. أزهار الرياض، ج5، ص19، وما بعدها.

(4) ابن خلدون، التعريف، ص36.

(5) ابن خلدون، البغية، ج2، ص136. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ص66. التنسي، نظم الدر، ص179-180.

(6) محمد ين الإمام محمد بن العباس: العالم الشهير بأبو عبد الله، أخد على مشاهير علماء تلمسان أمثال: الحافظ التنسي، وابن زكري، والسنوسي، والكفيف ابن مرزوق، ذكر التنبكتي أن له أبحاث وفوائد ومرويات ومجاميع، كان حيا بعد سنة 920هـ/1514م. المازوني، الدر المكنونة في نوازل مازونة، ج1، ورقة 139، 140. القرافي، توشيح الديباج، ص128-129 وما بعدها. التنبكتي، نيل الابتهاج، مج2، ص275. ابن مريم، البستان، ص259.

(7) ابن مريم، البستان، ص249.

(8) ابن صعد، روضة النسرين، ص 141.

وعليه يمكن القول أن الوظائف التعليمية بالمدارس التي وردت في فتاوى المعيار كانت متعلقة بمدارس المغرب أو تونس(1)، وكانت مدارس المغرب الأقصى تفصل وظائف المدرسين في بعض المواد الدراسية تخصص لكل فن من الفنون أستاذا، فعلى سبيل المثال كان محمد بن فتوح التلمساني(2) يقرأ ألفية ابن مالك بمدرسة أبي عنان في حين عرض عليه رئاسة درس الفقه بمدرسة العطارين(3).

جعلت السلطة الزيانية المشرف –الناظر- على المدرسة من وظيفة المدرس(4)، وقد وردت وظيفة الناظر(5) في عدة مواضع في المعيار، بصفته من من يتولي الشؤون الإدارية للمدرسة، وكل ما يتعلق بأمور السكن للأساتذة والطلبة(6)، وكذلك الاهتمام بالأوقاف ومداخيلها، وصرف المرتبات للطلبة والمدرسين وعمال المدرسة(7).

ووردت في فتاوى المعيار أسماء بعض الموظفين، كالقيّم؛ وهو الذي يتولى جميع خدمات المدرسة والقيام بمستلزماتها الضرورية وكل ما تحتاج إليه من الكنس والفرش والوقود، وحفظ الحصير والقناديل وغير ذلك..." (8). إضافة إلى البواب الذي ينحصر عمله في فتح الباب وغلقه(9).

---

(1) الونشريسي، المعيار، ج7، ص 17-18، 264، 369.

(2) أبو عبد الله عمر بن فتوح التلمساني، من علماء تلمسان هاجر إلى فاس فأخذ الفقه على شيخ الجماعة أبو موسى المصمودي، وهو أول أدخل المختصر لفاس سنة 705هـ، توفي بمكناسة سنة 818هـ/1305م. ينظر: عمر القرافي، توشيح الديباج، ص199. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص170-171. ابن مريم، البستان، ص170-171.

(3) ابن مريم، المصدر نفسه، ص264.

(4) ابن خلدون، العبر، ج7، ص118. – التعريف، ص31 -62. يحي ابن خلدون، البغية، ج2، ص136. التنسي، ص139-140-179-248. المقري، فنح الطيب، ج6، ص181.

(5) الونشريسي، المعيار، ج7، ص244-263-264.

(6) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص264.

(7) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص264.

(8) الونشريسي ، المصدر نفسه، ج7، ص17-18.

(9) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص17-18-369.

أما وظيفة الإمام والمؤذن(1) ارتبطت بالمساجد الملحقة بالمدارس، ولقد أكد أكد جورج مارسي أن مسجد أولاد الإمام إنما هو في الواقع مسجد ملحق بالمدرسة وهو مخصص للأساتذة والطلبة(2).

كما نجد وظائف أخرى كوظيفة مصلح المستغلات، وهو الذي يقوم بإصلاح ما تخرب من ملحقات المدرسة أو ما تعلق بأحباسها كالعقارات والحوانيت والأرحى، ويكون إما من الفلاحين أو من جباة المال(3).

كما وردت أيضا وظيفة الأجراء، وهم العاملين بمؤسسات أو الأراضي الموقوفة على المدارس والقائمين عليه من الفلاحين وغيرهم(4).

2- طرق تعيين المدرسين:

بناء على ما سبق تعد المدرسة مؤسسة رسمية تبعية نظامها الإداري لأجهزة الدولة ومؤسساتها، يخضع لرقابة السلطة وديمومة الإشراف عليها، فكانت الإجراءات الإدارية الخاصة بتعيين المدرسين تتم تحت عناية السلطان، ولكن قلة النصوص التاريخية المتعلقة بمدارس تلمسان لم توضح كيفية التعيين.

ولقد كشفت لنا علاقة السلطان بالفقيه المدرس عن الطرق التي كانت تتخذها السلطة في منح المناصب للمدرسين.

وكان الواقع الثقافي بالحاضرة هو المتمكن والمتحكم في رغبة السلاطين وتوجيه اختياراتهم لعلماء المدارس فجاءت طرق تنصيب العلماء مختلفة وهي كالتالي :

(1) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص17-18- 369.
(2) Marçais (W) et (G), Op.cit, p170-171.
(3) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص369.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص373.

*** تعيين المدرّس قبل إنشاء المدرسة:**

والمقصود به تنصيب المدرس يسبق إنشاء المدرسة وهذا ما يدعونا إلى القول أنها أنشأت بالأساس من أجله، فنجد رغبة أبي حمو موسى واضحة قبل اعتلائه الحكم في منح الفقيهين ابني الإمام منصب التدريس بدولته، "فما إن استقل بالحكم حتى ابتنى لهما المدرسة"[1]، وعلى المنوال نفسه سعى السلطان أحمد العاقل إلى منح الفقيه الحسن أبركان منصب التدريس بمدرسته، مع العلم أنه كان مدرسا بزاويته، ولعل السلطان رأى ضرورة اتخاذ المدرسة بإزائها حتى يستطيع الشيخ أبركان الجمع بين الوظيفتين[2].

*** تعيين المدرّس بعد إنشاء المدرسة:**

جاء تعيين أكثر المدرسين بهذه الطريقة، فكان تعيين أبي تاشفين للفقيه أبي موسى عمران المشذالي، بعد إنشائه المدرسة التاشفينية[3]، وبنفس الطريقة اختار أبو حمو موسى الثاني الفقيه أبا عبد الله الشريف التلسماني في السنة ذاتها التي تم فيها إفتتاح المدرسة (765هـ/1363م)[4]، وبنفس الطريقة استمر تعيين المدرسين بالمدرسة اليعقوبية[5]، وكان تعيين أبي حمو موسى الثاني لابن خلدون للتدريس بمدرسة العباد[6]، برغبة من محمد بن عريف لاستقرار ابن خلدون بتلمسان سنة (776هـ/1364م)[7].

---

(1) ابن خلدون، التعريف، ص31. العبر، ج7، ص118.

(2) التنسي، النظم، ص248.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص62. التنسي، المصدر نفسه، ص141.

(4) يحيى ابن خلدون، العبر، ج7، ص136.

(5) القلصادي، المصدر السابق، ص105.

(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص243-244.

(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص244-245.

*** توريث منصب التدريس :**

لم توضح المصادر المدة التي حددتها السلطة لاشتغال الفقيه بالمدرسة، فغالبا ما كان يتابع وظيفته التعليمية إلى حين وفاته، وفي بعض الحالات ارتأت السلطة أنه من الضروري توريث المنصب التعليمي، كما فعلت مع أسرة الشريف التلمساني بالمدرسة اليعقوبية(1)، فبعد وفاة المدرس أبي عبد الله الشريف سنة (771هـ/1369م)(2) رأى السلطان أبو حمو موسى بقاء منصب التدريس لأسرة الشريف فورّث المنصب لابنه الفقيه أبي محمد عبد الله الشريف" وأعطاه المدرسة وأجلسه مجلس أبيه للتدريس كما رتب له جميع مرتبة"(3)، كما أخذ مكانه في التدريس أخاه عبد الرحمن أبي يحيى الشريف عندما مرض عبد الله الشريف(4).

صرح التنسي بوراثته مجلس الأشياخ بالمدرسة ذاتها(5)، وبغياب القرائن لا لا يمكننا تفسير الإجراء الإداري الذي تم من خلاله توريث المنصب للمدرس أبي عبد الله التنسي، بينما نجد عامل الشرف، إلى جانب المكانة العلمية لأسرة أبي عبد الله الشريف، التفسير الوحيد لرغبة السلطة في توريث المنصب(6).

(1) التنبكتي، النيل، مج1، ص243. ابن مريم، البستان، ص177.
(2) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص243. ابن مريم، المصدر نفسه، ص177.
(3) ابن مريم، المصدر السابق، ص177.
(4) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص276. ابن مريم، المصدر السابق، ص128.
(5) ابن صعد، روضة النسرين، ص141.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه ص136. – التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص243. ابن مريم، المصدر السابق، ص177.

3- معايير الكفاءة لقبول المدرّسين :

لقد سعت السلطة إلى تفوق مدارسها على المستوى العلمي المغاربي، لذلك أعطت السلطة الزيانية قضية تنصيب العلماء للتدريس اهتماما خاصا، فكان إشراف السلاطين الزيانيين مباشرا لاختيار المدرسين[1]، على عكس السلطة المرينية التي لم توضح المصادر عن كيفية اختيارها للمدرسين[2].

لذلك سعت السلطة الزيانية إلى اختيارهم من بين عدد كبير من علماء تلمسان، مراعية بذلك أهم المعايير الأساسية التي تؤهلهم لمنصب التدريس، آخذة بعين الاعتبار علاقة السلطة ذاتها بالمدرّس، بالإضافة إلى مكانته العلمية ودوره في المجتمع التلمساني وشهرته العلمية داخل الحاضرة وخارجها، ومن خلال الاستقراء للمصادر نجد هذه الشروط قد اجتمعت في أغلب المدرسين، وأهمها الكفاءة العلمية للفقيه التي تعتبر معيارا أساسيا لاختيار المدرس، فلا بد من تميز الفقيه بين أقرانه من العلماء ونبوغه العلمي في فن من فنون العلم، أو علو كعبه في سائر العلوم الشرط الأساسي للمدرس، ولقد أضاف ابن جماعة على أن يكون المدرس ذا رياسة، وفضل وديانة وعقل ومهابة وجلالة.

فنجد على سبيل المثال الفقيهين ابني الإمام اللذين كان لهما حضور قوي في يلاط الدولة الزيانية[3]، لتوفر جميع الصفات العلمية فيهما بما في ذلك بلوغهما درجة الاجتهاد[4] والفتوى[5]، كما كانت لهما مكانة وتقدم في العلوم[6]، إضافة إلى

---

(1) يحيى ابن خلدون، البغية، ج1، ص130، ج2، ص136. ابن خلدون، العبر، ج7، ص118. التعريف، ص31، 61-62. التنسي، نظم الدر، ص139، 141-142، 179. المقري، نفح الطيب، ج6، ص181.

(2) بدر الدين ابن أبي إسحاق ابن جماعة الكناني، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، حققه وعلق عليه محمد هاشم الندوي، الرياض، رمادي للنشر، ط2، 1416هـ/1995م، ص264.

(3) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130. ابن مرزوق، المسند، ص266. ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص118. التعريف، ص31. المقري، المصدر السابق، ج6، ص181.

(4) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص266-267. المقري، المصدر نفسه، ج6، ص181.

(5) ينظر: المازوني الدرر المكنونة، ج1، ورقة 4ظ، 139، 140. التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص270.

(6) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص266. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص386.

إلى "تصانيفها المفيدة"[(1)]، فقد ذكرت المصادر من تآليف أبي زيد "شرح على ابن الحاجب الفرعي"[(2)].

ولقد أجمعت المصادر على "شهرتهما"[(3)] "شرقا وغربا"[(4)]، وأضاف يحيى ابن خلدون إلى جانب الشهرة العلمية "شهرتهما بالرياسة"[(5)]، والتي كانت محل اهتمام السلطتين الزيانية والمرينية[(6)] من جهة أخرى ساهمت خبرتهما العلمية في مجال التدريس قبل تاريخ (705هـ/1305م) على اختيار السلطان أبو حمو لتعينهما بالمدرسة، مع العلم أنهما اشتغلا للتدريس بالجزائر، ثم مليانة عند منديل الكناني لتدريس ولده[(7)]، بالإضافة إلى الفترة التي درّسا فيها بتلمسان قبل إنشاء المدرسة[(8)]، هذه الفترة التي تعد ذات أهمية بالغة لفتت السلطة والنخبة المثقفة إلى إلى وزن الفقيهين في المجال المعرفي.

لقد جاء اختيار السلطان أبي تاشفين للفقيه أبي موسى عمران المشذالي مدرسا بالمدرسة التاشفينية نابعا من قناعته بشخصيته العلمية[(9)] بعد حضوره البارز في بلاط أبي تاشفين[(10)] كما اجتمعت فيه صفات رشحته لمنصب التدريس

(1) ابن فرحون، المصدر نفسه، ج1، ص386. التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص269. ابن مريم، المصدر نفسه، ص123.

(2) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص269. ابن مريم، المصدر نفسه، ص123.

(3) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص386. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص266-280. ابن مريم، المصدر نفسه، ص123.

(4) ابن مريم، المصدر نفسه، ص123.

(5) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130.

(6) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص130. ابن مرزوق، المسند، ص265. ابن خلدون، التعريف، ص31-32. التنسي، نظم الدر، ص139-142. المقري، المصدر السابق، ج6، ص181.

(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص31. –المقري، المصدر نفسه، ج6، ص181.

(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص22.

(9) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص62.

(10) المقري، المصدر السابق، ج6، ص183-187.

من الفقه والعلم(1) والصلاح(2) إلى جانب هذا أكد يحيى ابن خلدون "أنه تميز عن عن معاصريه علما بمذهب مالك وعرفانا بنوازل الأحكام والصواب في الفتيا"(3). الفتيا"(3).

ونجد الفقيه أبا عبد الله الشريف التلمساني قد اجتمعت فيه جميع المعايير التي أخذتها السلطة بعين الاعتبار لتعيينه لمنصب التدريس بالمدرسة اليعقوبية(4) وعلى رأسها قضية نسبه الشريف(5)، "فلا يمكن إغفال هذا السبب الذي يجعل الفقيه بدون شك محل تحلة والتقاء عرقي مع أبي حمو الذي ادعى هذا النسب لأسرته"(6)، فمن البديهي أن يمنحه منصب التدريس مادامت الشروط العلمية قد توفرت فيه باعتباره "إمام عصره قائما على الفروع والأصول"(7)، "جمع بين التحصيل والتأليف"(8)، "وكثيرا من العلوم العقلية والنقلية"(9)، وبلغ درجة الاجتهاد الاجتهاد في المذهب وبذلك "انتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب"(10)، كما انتصب للتدريس قبل تشغيله بالمدرسة، حيث اشتغل بالتدريس بعد قدومه من تونس "فملأ

(1) اختصاصه بالفقه والفتوى، ينظر: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130. ابن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص123. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص268. –ابن خلدون، المصدر السابق، ص62. المازوني، الدرر المكنونة، ج1، ورقة 154 وما بعدها و59، ج2، ورقة 395ظ. المقري، المصدر السابق، ج6، ص187.

(2) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ص130.

(3) يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، ص131.

(4) مجهول، زهر البستان، ورقة 83ظ. نقلا عن صابرة خطيف، فقهاء تلمسان، ملحق رقم 10، ص276. يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص136. التنسي، المصدر السابق، ص179

(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص64.

(6) صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ص285.

(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص64.

(8) ابن مريم، المصدر السابق، ص164-166. محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص337.

(9) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص120. المقري، أزهار الرياض، ج5، ص19. محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص337.

(10) المازوني، المصدر السابق، ج1 و53، 54، 55. ابن مريم، المصدر السابق، ص166.

المغرب معارفا" وكوّن العديد من التلاميذ[1]، كما اشتغل بالتدريس بالمجلس العلمي المريني[2].

أما ما تعلق بمدرسة أبي مدين شعيب وقضية اختيار المدرسين، فهي شبه غائبة عن المصادر، خاصة في الفترة المرينية، وبعد رجوع الحكم إلى الزيانيين نجد أهم العوامل التي دفعت السلطان أبو حمو موسى إلى تعيين عبد الرحمن ابن خلدون سنة 776هـ[3]، هي شخصيته العلمية الهامة التي لعبت دورا فعالا في بلاطات السلاطين، حيث كان متقدما في فنون عقلية كما كان سديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور، إضافة إلى شهرته العلمية الذي اعتبره لسان الدين ابن الخطيب "مفخرا من مفاخر التخوم المغربية"[4].

4- دوافع إقبال الطلبة على المدارس :

إن رغبة الطلبة في الانضمام بحلق أشهر علماء المدارس بتلمسان، كانت دافعا أساسيا للالتحاق بها، خاصة بعد الشهرة التي بلغتها أولى المدارس –مدرسة أولاد الإمام–[5] والتي دفعت الطلبة للإقبال على المدارس الأخرى.

فكانت شهرة هؤلاء المدرسين دافعا مهما لملازمة بعض الطلبة التعليم في أكثر من مدرسة، حيث أخذ أبو عبد الله المقري عن ابني الإمام بمدرستهما وبعد

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص65.

(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص65. ابن مريم، المصدر نفسه، ص174.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص65.

(4) لسان الدين ابن الخطيب، نفاظة الجراب في غلالة الاغتراب، تقديم وتحقيق السعدية فاغية، الرباط، مكتبة عالم الفكر، ط 1409هـ/1989، ج3، ص208-297. ابن خلدون، ينظر: المصدر نفسه، ص18 ومابعدها. أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام في مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، د. ط د.ت، القسم 1، ص410، 411، 412. التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص273، 274، 275. محمد بن معمر، مساهمة ابن خلدون في تمتين الصلات الثقافية بين المغرب الأوسط (الجزائر) والأندلس، إسبانيا مجلة معرض ابن خلدون بين الجزائر والأندلس، مؤسسة التراث، 2007، ص52.

(5) أبو العباس أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر، الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات مخبر الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، ط1425/2004، ص140.

تدشين المدرسة التاشفينية التحق بها هي الأخرى، وأخذ عن مدرسها أبي موسى عمران المشذالي[1]، كما كانت رغبة إبراهيم المصمودي في استكمال دراسته بالمدرسة، فبعد وفاة مُدرسه الإمام أبي عبد الله الشريف انتقل من المدرسة اليعقوبية إلى التاشفينية التي كان يدرس بها سعيد العقباني[2].

لعب التصوف دورا في إقبال الطلبة فنجد ميولهم للتصوف أو رغبتهم في التقرب من المشائخ الصوفية دافعا مهما في انضمامهم للمدارس، ويمكن القول أن بعض الطلبة ممن التحقوا بمدرسة الحسن بن مخلوف أبركان، كان بسبب شهرته بالولاية والزهد، إضافة إلى كونه من كبار شيوخ الصوفية في عصره، ومما زاد من شهرته تردد السلاطين عليه[3]، فنالت شهرته بالولاية والصلاح، الوزن الأكبر من شخصيته مع أنه كان يحتل مكانة علمية داخل الوسط الثقافي الزياني[4].

يصرح أبو الحسن القلصادي[5] بالأسباب التي دفعته التزام درس الفقيه ابن ابن زاغو باليعقوبية بقوله: "وأنا مذ رأيت نجاح دعواته وصلاح أمري بالتماس بركاته، لازمته وترددت عليه، فكنت أجد في مجالسه فوائد تنسي الأوطان، وأرد من فيضه ما يحيى به الضمآن فسرت إلى خدمته مسرعا وإلى مبرته مبادرا..." [6].

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص123. المقري، نفح الطيب، ج6، ص181-187. أزهار الرياض، ج5، ص12-12-30.

(2) ابن صعد، النجم الثاقب، ج1، ص96. ابن مريم، البستان، ص65.

(3) ابن صعد، روضة النسرين، ص129-130. ابن مريم، البستان، ص75 وما بعدها.

(4) ينظر: الرصاع، الفهرست، ص43. ابن صعد، المصدر نفسه، ص125، وما بعدها. التنبكتي، النيل، مج1، ص174 وما بعدها. –ابن مريم، المصدر السابق، ص74 وما بعدها.

(5) أبو الحسن علي بن محمد القلصادي: القرشي صاحب الرحلة المشهورة، نزيل غرناطة أصله من بسطة أخذ على شيوخها، فقيه، صالح، أكثر تصانيفه في الحساب والفرائض، من شيوخه بتلمسان قاسم العقباني، وابن زاغو، أبو عبد الله ابن مرزوق، وعيسى الرتيمي، توفي سنة 891هـ-1486م، ينظر: القرافي، توشيح الديباج، ص115. التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص281 وما بعدها، ابن القاضي، لفظ الفرائد، ص270. درة الحجال، ص407.

(6) القلصادي، الرحلة، ص103.

لقد كان الوضع الاجتماعي محفزا لبعض الطلبة للالتحاق بالمدارس، لأن الحاضرة مقر العلم على عكس البادية[1]، فمن المؤكد أنه استفاد عدد كبير من الطلبة الذين يقطنون البادية أو في أماكن بعيدة عن المدرسة من الالتحاق بها، ومنه يمكن القول أن توفير السكن للطلبة يعتبر محفزا لتفادي صعوبة الانتقال، والمثال على ذلك الطالب أحمد ابن زكري[2] الذي كان يجد صعوبة في تردده على المدرس محمد بن العباس[3] من تلمسان إلى العباد صباحا ومساءا خاصة أيام الشتاء. فلما علم شيخه بذلك منحه سكنى المدرسة[4].

5- شروط الالتحاق بالمدرسة :

تأتي شرعية الفقهاء في المرتبة الثانية بعد شروط المحبِّس في وضع القوانين المتعلقة بالنظام المالي والإداري بالمدارس، والذي يحدد من خلاله مدى استفادة الطلبة من الرواتب وسكنى المدرسة.

إن النظر في النصوص الفقهية المتعلقة بشروط السكن والالتحاق بالمدرسة، هو سبيلنا في معرفة قوانين المدرسة، وتنوع الفتاوى بين علماء تلمسان وفاس وتونس يوسع من دائرة الشروط كالأخذ بالفتوى التي تتوافق في مضامينها

(1) أبو عبد الله محمد العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي Damas, Bulletin d'études orientales institut de France a Damas, tome 19 année 1965-1966، ص31.

(2) أحمد بن محمد ابن زكري: المانوي التلمساني من مشاهير أعلام تلمسان، فقيه ومفتي مالكي، من شيوخه ابن زاغو وابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني، له عدة تآليف في العقيدة ومسائل في القضاء والفتية، وله فتاوي كثيرة في المعيار، توفي سنة 1899هـ-1493م. ينظر ترجمته: القرافي، توشيح الديباج، ص40. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج1، ص136-137. ابن القاضي، لقط الفرائد، ص247، ذرة الحجال، ص48. الونشريسي، الوفيات، ص153. محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص386.

(3) محمد بن العباس بن محمد التلمساني: الشهير بالعباد، من كبار العلماء الفقهاء بتلمسان، درس بمدرسة العباد، أخذ عنه عدد كبير من الطلبة، قال عنه القلصادي كان إماما فقيها متفننا في العلوم، ذكر المازوني فتواه في نوازله، توفي بالطاعون آخر سنة 871هـ/1466م. ودفن بالعباد، ينظر: القلصادي، الرحلة، ص110. التنبكتي، نيل الابتهاج، مج2، ص231-232. ابن مريم، المصدر السابق، ص223-224.

(4) ابن مريم، المصدر السابق، ص39-40.

مع فتاوى متعلقة بمدارس تونس، إضافة إلى توافق بعض شروطها مع الوضعية الإدارية التي كان عليها حال الطلبة والمدرسين بالمدرسة[1]، وهي كالتالي:

- يسكن المدرسة من بلغ عشرين سنة فما فوقها[2]: ويعتبر هذا السن هو السن المناسب حتى يستطيع الطالب مواصلة تعليمه، لأنه وبعد هذا العمر، يكون الطالب قد كوّن نفسه معرفيا من خلال ما اكتسبه من مرحلة التعليم الابتدائي بالكتاب، بالإضافة إلى شروعه في تعلم العلم وتردده على أهله.

- أن يداوم وباستمرار حضور قراءة القرآن (الحزب) صبحا ومغربا، ملتزما مجالس المقرئين لا يتغيب عنها إلا لضرورة من مرض أو شبه من الأعذار المبيحة[3].

- التزام الطالب حضور حلقات العلم ودروسه بقدر المستطاع [4].

- ألا ينقطع الطالب عن العلم بالعبادة لأن المدارس جعلت لطلب العلم وليس الانقطاع للعبادة تحقيقا لغاية المحبس[5]. لذلك جاء إنشاء الزوايا بالقرب من المدرسة[6] لتحصل المنفعة لطالب المدرسة وطالب الزاوية.

- يتم فصل الطالب جبرا من المدرسة في حالة ما إذا سكنها مدة عشرة أعوام ولم تظهر نجابته[7].

6- شروط الإقامة بالمدرسة :

(1) الونشريسي، المعيار، ج7، ص262.
(2) الونشريسي، المعيار، ج7، ص7، 262.
(3) الونشريسي، المصدر نفسه ، ج7، ص262.
(4) الونشريسي، المصدر نفسه ، ج7، ص262.
(5) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص 262.
(6) ينظر: يحيى ابن خلدون، البغية، ج2، ص129-130. النميري، فيض العباب، ص488.
(7) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص 262.

لقد وضعت إدارة المدرسة بعض الضوابط في منح الطالب سكنه الخاص بالمدرسة التي حددت بأن يكون السكن مجانًا من دون عوض، وأن لا يكون منحه إياه يلزمه الإعارة أو الهبة(1)، كما أخذ المشرفون على المدارس مسألة انفراد الطالب بالغرفة بعين الاعتبار فكان أبو عبد الله الشريف يقيم لكل طالب غرفته(2)، وكذلك المدرس أبو عبد الله بن العباس منح ابن زكري بمدرسة العباد مسكنه الخاص(3) وكان يترتب على انفراد الطالب بالغرفة عدة شروط أهمها:

- أن يكون الناظر منحه إياها وعين له مرتبا من أوقاف المدرسة –فكان تعيين المرتب يقضي للطالب الحق في أخذ المسكن(4).
- أن ينتفع الطالب بها حيث تعينه على طلب العلم وليس له الحق أن يتصرف فيها بغير ذلك(5).
- يُصرف عنه استحقاق الغرفة لعدم احتياجه إليها –كأن يكون مسكن الطالب قريبا من المدرسة– ليرتفق بسكناها من له حاجة إليها(6).

7- مدة الدراسة :

لم توضح المصادر المدة التي كان يستغرقها الطالب حتى يتم تعليمه بالمدرسة بما في ذلك ابن خلدون الذي اقتصر حديثه عن الفارق الكبير بين المدة التعليمية في مدارس تونس ومدارس المغرب(7).

---

(1) الونشريسي، المصدر نفسه ، ج7، ص 264.
(2) ابن مريم، المصدر السابق، ص170.
(3) ابن مريم، المصدر السابق، ص39-40.
(4) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص 264.
(5) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص 264.
(6) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص 264.
(7) ابن خلدون، المقدمة، ص 321.

ويبقى تحديد المدة الدراسية بمدارس تلمسان مطروحا، ولعلها لم تكن محددة بمدة معينة، فهناك من الطلبة من استوفى مدة عشر سنوات، مثل أبي عبد الله ابن الإمام الذي لزم مجلس شيخه الحافظ أبي عبد الله ابن العباس التنسي مدة عشر سنوات(1)، ويمكن اعتبار هذه المدة كأقصى حد لمزاولة الدراسة من جهة أخرى، نجد إبراهيم الأبلي تلقى تعليمه بالمدرسة القديمة عند الفقيه أبا موسى ابن الإمام لفترة وجيزة اقتصر فيها على تعلم علم المنطق والأصلين(2)، مما يدفعنا إلى التساؤل لماذا اقتصر الآبلي على ملازمة درس المنطق والأصلين؟، هل كان برغبته أم أن الظروف لم تساعده على ملازمة جميع المواد الدراسية لعله اضطر إلى الخروج من تلمسان إلى المغرب الأقصى ولم يتابع دراسته بمدرسة أولاد الإمام بعد توتر علاقته بالسلطان أبي حمو بسبب إكراهه للعمل على ضبط أمواله ومشارفته عماله (3).

كما نجد مدة التعليم بالمدارس متفاوتة عند الطلبة الوافدين من الأندلس، فلقد أخذ أبو الحسن القلصادي العلم خلال ثمان سنوات على يد العديد من علماء تلمسان بما في ذلك التزامه مجلس أبي عبد الله الشريف، ثم ابن زاغو بالمدرسة اليعقوبية، وتبقى المدة التي سكن فيها المدرسة(4) تتراوح ما بين سبع سنوات أو ثمان سنوات، لأن قدومه إلى تلمسان كان سنة (840هـ/1436م) وخروجه منها كان سنة (848هـ/1444م)(5). وكذلك أبو جعفر البلوي(6) الذي لم يستقر طويلا

(1) التنبكتي، النيل، مج2، ص261. ابن مريم، المصدر السابق، ص239.

(2) ابن خلدون، التعريف، ص22-36.

(3) يحيى ابن خلدون، البغية، ج1، ص120. ابن مرزوق، المسند، ص266. ابن خلدون، التعريف، ص22، 36، 37. التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص66. المقري، نفح الطيب، ج6، ص102. أزهار الرياض، ج5، ص60.

(4) القلصادي، الرحلة، ص99-100-103-104.

(5) القلصادي، المصدر نفسه، ص94-110.

(6) أبو جعفر أحمد بن علي الوادي آشي: صاحب البرنامج والثبت، أخذ العلم على والده أبي الحسن وأبي الحسن القلصادي، ارتحل مع أسرته ونزلوا تلمسان بعد 890هـ/1531م، فأخذ عن علمائها منهم: الحافظ التنسي، وابن مرزوق، الكفيف وغيرهم، توفي سنة 938هـ. ينظر الترجمة: القرافي، توشيح الديباج، ص32. التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص149.

طويلا بتلمسان، كان قدومه إليها من الأندلس سنة (890هـ/1485م)[1]، والتزم درس الحافظ التنسي بالمدرسة اليعقوبية ابتداءا من أواخر شعبان سنة (895هـ/1489م)[2]. وانتقل إلى وهران سنة (896هـ/1490م)[3].

(1) أبو جعفر البلوي، الثبت، ص21-22.

(2) أبو جعفر البلوي، المصدر نفسه، ص319-320.

(3) البلوي، المصدر نفسه، ص35.

8- نظام المكتبات :

لم تتوفر لنا المادة التاريخية المتعلقة بمكتبات المدارس، سوى مدرسة أولاد الإمام التي كانت تحتوي على خزانة للكتب والتي يمكن القول بأنها كانت من أشهر المكتبات بتلمسان(1).

كما عملت السلطة الزيانية على تجديد الفضاء المعرفي لطلبة العلم فقامت بتزويد الحاضرة بأكبر خزانتين للكتب المختلفة بالجامع الأعظم والتي مرت على مرحلتين: الأولى في سنة (760هـ/1359م) والثانية سنة (796هـ/1394م)(2). والتي يمكن اعتبارها المنبع الثقافي الأساسي الذي يتردد إليه الأساتذة، وطلبة العلم للتحصيل والدراسة والتحقيق في جميع المسائل والقضايا العلمية في مختلف العلوم العقلية والنقلية وكانت تحتوي على جميع أصناف أمهات الكتب بما في ذلك المتون والشروح والمختصرات، ويكن تصنيفها كالتالي:

- مكتبة مدرسة أولاد الإمام: يعود تاريخ تزويد المدرسة بخزانة الكتب(3) خلال الفترة الأولى من افتتاح المدرسة ما بعد سنة (707هـ/1307هـ)، على عهد أبي حمو موسى الأول(4).

- مكتبة أبو حمو موسى الثاني: أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني عام (760هـ، 1359م)، وكان موقعها من المسجد على يمين المحراب(5).

---

(1) المقري، الرحلة، ص140.

(2) التنسي، نظم الدر، ص130-211. عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية (633-962هـ/ 1236-1554م)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسنطينة، جامعة منتوري، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2003-2004، ص120.

(3) المقري، المصدر السابق، ص140.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص118. التعريف، ص31. ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص130. التنسي، المصدر السابق ، ص130.

(5) المهدي، البوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر، ص102.

- مكتبة السلطان أبو زيان محمد الثاني بالجامع الأعظم: نظرا لما عرف به السلطان أبو زيان من حبه للتأليف ونسخ الكتب واقتنائها، أنشأ خزانة للكتب بالجامع الأعظم سنة (796هـ-1394م)[1]، فنسخ العديد من المصاحف ونسخة من صحيح البخاري، ونسخا من كتاب الشفا للقاضي أبي الفضل عياض، حبّسها كلها بخزانته بالجامع الأعظم، وبقي السلطان مواضبا على جمع الكتب وتحبيسه لها بالمكتبة[2]. وكانت تقع المكتبة بالقسم الأمامي من الجامع الأعظم[3].

"كما كانت الكتب فيها تُبوّب وترّتب حسب فنونها وتخصصها، ليسهل على الطالب الحصول عليها، وإذا أراد أحد الناسخين نسخ البعض منها، فإن موظفي المكتبة يقدمون له ما يحتاج إليه من أدوات الكتابة كالأوراق والأقلام"[4].

أمّا القوانين الخاصة بالمكتبات فكانت تخضع لنظام الأحباس، مستمدة من شروط المحبسين[5]، ففي الغالب يتم التردد عليها طوال النهار ويزداد الإقبال عليها بعد التفرغ من الدراسة مساءا ما بين صلاة العصر وصلاة المغرب، وكان أمناء المكتبة والمشرفين عليها يمنعون إعارة الكتب خارج المدرسة والمسجد، ولكن بمرور الوقت جرت العادة بإخراج المدرسين الكتب لأنفسهم ولغيرهم[6]، ومن المحبّسين من شرط أن يعطى كتابا بعد كتاب مخافة ضياعها[7].

---

(1) التنسي، المصدر السابق، ص211.

(2) التنسي، المصدر نفسه، ص211.

(3) المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص102.

(4) فيلالي، تلمسان، ج2، ص326.

(5)الونشريسي، المعيار، ج7، ص340-341.

(6) الونشريسي، المعيار، ج7، ص240.

(7) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص240.

المبحث الثاني: النظام المالي للمدارس

اعتنت السلطة الزيانية والمرينية بالموارد المالية للمدارس، وجعلت الأوقاف المصدر المالي الأساسي الذي يغطي ويتكفل بجميع مصاريفها المالية، وأعطى نظام الأوقاف للمدارس نوعا من الاستقلالية المالية بفضل ما خصصته لها السلطة من مختلف الموقوفات التي كانت في مجملها عبارة عن الأوقاف العقارية والرباع (الأراضي)، والتي كانت مداخيلها المورد المالي الذي يضمن استمرار تسييرها ماليا بصفة دائمة لضمان جميع مصاريفها المتعلقة بمنح الطلبة ومرتبات المدرسين وموظفي المدرسة [(1)].

إن اقتصار مداخيل المدارس على الأوقاف دون غيرها يظل هذا الحكم قائما بغياب نصوص مصدرية أخرى تعطينا موارد مالية أخرى كالهبات أو التبرعات، والتفسير الوحيد لهذه الظاهرة هو تقليد السلطة لما كان سائدا في جميع المدارس المشرقية والمغربية، فصار من البديهي أن يتكفل السلطان الذي أنشأ المدرسة بمداخيلها المالية عن طريق نظام الأوقاف، إلا فيما يتعلق بأوقاف مدرسة سيدي الحلوي الذي أخبرنا عبد الله بن صباح "بأنها جنة في الأرض فيها الإطعام من الحلال الموقوف من وقوف الصالحين"[(2)].

(1) عبيد بوداود، انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م)، ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار، 2005-2006 / 1426-1427، ص328.

(2) عبد الله بن الصباح الأندلسي، منساب الأخبار وتذكرة الأخيار، و62. نقلا من : الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص152.

1- دور الأوقاف في استمرارية التعليم بالمدارس :

يعد نظام الأوقاف المورد المالي الأولي والأساسي بمدارس تلمسان، فقد دعمت السلطة الزيانية والمرينية النشاط التعليمي بها من خلال ما وفرته لها من الأحباس لسد كل احتياجات المدرسة إلى غاية ما يرتب للموظفين والطلبة والمدرسين من الرواتب والمنح.

ظلت الأوقاف تغطي لفترة طويلة من الزمن جميع مصاريف المدارس وأبقت على ديمومة التدريس بها، فالعائدات الشهرية والفصلية والسنوية للأوقاف شكلت مصدرا مهما من الثروة لهذه المؤسسات التعليمية[1].

كانت جميع الأملاك الموقوفة بأنواعها مسيرة من طرف موظفين تحت وصاية نظام الأحباس التي يتم بعد جني غلاتها وجمع أموالها، صرفها على شكل منح ورواتب وكل ما يتعلق بها من مواد أساسية وضرورية في حياة الطالب والمدرس، بالإضافة إلى مصاريف صيانة الأماكن المتضررة بها من ترميم وإصلاح ما فسد من مستغلاتها[2].

كما تكمن أهمية الأوقاف في "ضمان مرتبات قارة لعدد لا يستهان به من المستخدمين والأجراء"[3]. كما استطاعت مداخيل الأوقاف من تسوية الوضعية الاجتماعية للأساتذة والطلبة والعاملين بالمدارس خاصة أنها ظلت في حالة توسيع ببلاد المغرب الإسلامي، وهذا ما رفع من شأن الثقافة وأهلها، وعليه كان الطلبة والأساتذة أحسن حالا مقارنة بالعديد من الشرائح الاجتماعية، وهذا كله بفضل ما وضعته الأوقاف من إمكانيات في خدمتهم"[4].

(1) عبيد بوداود، انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي، ص73.

(2) العربي لقريز، مدارس أبي الحسن المريني، ص133.

(3) عبيد بوداود، المرجع نفسه، ص305.

(4) عبد بوداود، المرجع نفسه، ص330.

2- أوقاف المدارس :

إن النصوص الأثرية[1] المتعلقة بأوقاف المدارس على قلتها، تبين أن السلطة هي الجهة المشرفة على التحبيس للمدارس[2]، هذه الأخيرة التي جاءت متصلة بأنواع الموقوفات مع ذكر أماكنها، واحتوت على بعض الشروط التي ضبط بها السلطان المحبّس أوقافه، فانعدام الوثائق الرسمية الخاصة بأوقاف المدارس الأخرى والتي تضمنت نص الوقف وما ورد فيه من ذكر لجميع الموقوفات وشروط المحبّس، حالت دون تقديم المادة الكافية لكشف الغموض بمصادرها المالية وكيفية صرفها.

* أوقاف مدرسة أولاد الإمام ومدرسة الحسن بن مخلوف أبركان :

لقد استفاد الفقيهان ابنا الإمام بما خصصه لهما السلطان أبو حمو موسى من الإقطاعات التي منحها سابقا يغمراسن بن زيان إلى الفقيه أبي إسحاق إبراهيم التنسي[3]، فبعد انقطاع عقبه نقل السلطان أبو حمو ملكية هذه الإقطاعات إلى الفقيهين ابني الإمام من جملتها تلك التي بتيرشت[4] وكانت مخصصة للزراعة[5]، ويظل الإشكال المطروح هل كان استغلال هذه الإقطاعات خاصا بمرتبات الفقيهين أم من جملة موارد المدرسة؟.

---

(1) النصوص الأثرية هي الكتابات الأثرية التي كانت على جدران المدارس أو المساجد والتي غالبا ما تكتب على لوح رخامي يتضمن تاريخ الإنشاء ونص الأوقاف والسلطان الذي أنشأها.

(2) ينظر، الملحق رقم (1) و(2).

(3) ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص280.

(4) تيرشت: وهو مدشر على مقربة من الحنايا وعلى أميال من تلمسان، وكان في أيام الموحدين للفتيان، وهو من الأملاك المختصة بجانب المخزن، ينظر: ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص280.

(5) التنسي، نظم الدر، ص127.

وأوقف السلطان أحمد العاقل على مدرسة أحسن بن مخلوف أبركان "أوقافا جليلة، وجدد رسم أوقاف الزاوية بعد أن وجد ربع أحباسها قد اندثر، كما انقطعت الوظائف التي جاء بها. فأحيا رسمها وأجرى المرتب للوظائف أزيد مما كانت عليه"(1).

*** أوقاف المدرسة اليعقوبية :**

شغِلت المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية القسم الأكبر من أوقاف المدرسة اليعقوبية، والمتمثلة في مجموعة الدكاكين والمخبزة والفرن والطاحونة، بالإضافة إلى الرحى ومعصرة الزيتون وما يتعلق بها(2)، فمعظم هذه المراكز التجارية كانت تتحكم في السوق المحلي الزياني، ويمكن اعتبارها الأماكن الاقتصادية الأكثر انتشارا أو نشاطا في المدينة، وهي ذات قيمة اقتصادية هامة بوجودها داخل المدينة(3)، هذا بالإضافة إلى البعد الاقتصادي والتجاري للفندق والذي يعد موقعه استراتيجيا داخل الحاضرة، وكذا إلى الحمام الذي يتمتع بوظيفة اجتماعية هامة لسكان المدن(4)، فمن الطبيعي أن تكون لهذه الموقوفات قيمة مالية جيدة ومداخيل معتبرة كونها جميعا مرافق اقتصادية وضرورية بالحاضرة.

ومن البديهي أن تعكس مداخيل هذه الأوقاف على الوضع الاجتماعي لطلبة المدرسة والقائمين عليها، يبدو واضحا خلال الفترة التي أشرف عليها أبو عبد الله الشريف(765هـ-771هـ) (5)، ورغم كثرة عدد الطلبة إلا أنهم كانوا يتمتعون بوضع مادي واجتماعي جيد فاتساع أرزاقهم(6) كان لكثرة مداخيل أوقافها.

(1) التنسي، المصدر السابق، ص248-249.

(2) ينظر الملحق رقم (1).

(3) عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج1، ص134-135.

(4) فيلالي، المرجع نفسه، ج1، ص136-139.

(5) ابن مريم، البسان، ص169-170.

(6) ابن مريم، المصدر نفسه، ص170.

والملاحظ على نص الوقف قلة الموقوفات المتعلقة بالأراضي (الرباع) والتي غالبا ما تكون خارج الحاضرة مقارنة بالموقوفات العقارية التي أخذت النصيب الأكبر من الوقف الموجود داخل المدينة، وقصد المحبس أن تكون قريبة من المدرسة حتى يتمكن المشرف عليها من تفقدها بشكل مستمر ويسهل عليه مراقبتها، والنظر في احتياجاتها.

وشرط المحبّس -السلطان أبو حمو موسى الثاني-[1] أن يبقى هذا الوقف ثابتا غير متغير متصل ببقاء المدرسة للتعليم، على أن يكون التحبيس تاما مطلقا غير مقيد ولا مخصص بشيء دون الآخر، كما جاء الوقف خاليا من الشروط التي تلزم المستفيد من أوقاف المدرسة بكيفية تقسيمه ويخبرنا صاحب البغية بأن السلطان عين الجرايات بالمدرسة أي المستفيدين من الوقت، ولم يحدد رواتب وحصص المستفيدين منه[2]، وربما قصد المحبس بذلك أن يتم تقسيم المرتبات بالسوية أو كان غرضه أن يتم التقسيم على ما هو معروف ومعهود بمدارس تلمسان.

*** أوقاف مدرسة العباد :**

إن الموقع الاستراتيجي الذي حضيت به المدرسة دفع المحبس عليها السلطان أبو الحسن المريني، إلى تخصيص أوقافه بمنطقة العباد وناحيتها مراعيا بذلك أهمية المكان، وموقع المؤسسات المستفادة من الوقف، علما بأن الأراضي التي أوقفها السلطان واقعة بالعباد العلوي والسفلي أو الفوقي[3]، "ولقد جاء اهتمامه بالعباد نظرا لأهميته كمركز ديني واجتماعي، وكذا الفترة الطفولية والشبابية التي

(1)زهر البستان، ورقة 28 ظ. نقلا عن صابرة الخطيف، فقهاء تلمسان، ملحق رقم 10، ص276. يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص136.

(2) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص136.

(3) ينظر الملحق رقم (2).

قضاها به، مؤديا للصلوات ومستمعا لما يلقى في أحد مساجده بالعباد السفلي وزائرا للصلحاء من الأموات والأحياء بالعباد الفوقي"[1].

وقصد المحبس بتخصيص أوقافه على الرباع -الأراضي الزراعية- مراعاة الوضع الاجتماعي لسكان المنطقة والغالب على معيشتهم فلاحة الأرض وزراعة الحقول[2]، هذا لا يعني انعدام الأحباس العقارية التجارية أو الاجتماعية كالحمام والمخزن والمعصرة والحوانيت بالإضافة إلى بعض البيوت[3] كونها مؤسسات اقتصادية هامة ذات مداخيل يومية أو شهرية، إذا ما قورنت بالأراضي التي يكون الحصول على غلاتها والاستفادة منها بشكل موسمي أو سنوي.

لقد ركز نص الحبس على ذكر فئة الطلبة المستفيدين من الوقف بالمدرسة والفقراء والحجاج المقيمين والواردين على الزاوية وتحديد أرزاقهم كل شهر، كما أشار إلى أن جميع مداخيل الأوقاف مشتركة تستفيد منها المدرسة والزاوية والمسجد.

ولم يهمل نص الوقف ذكر جميع الموقوفات بأسمائها وأسماء مالكيها مع ذكر عقود الشراء[4]، التي تمت بين السلطان وملاك الأراضي والعقارات، محاولا بذلك توضيح الصفة الشرعية التي تمت من خلالها الحصول على هذه الأملاك.

(1) صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ص81.

(2) عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج1، ص155

(3) ينظر الملحق رقم (2).

(4) ينظر الملحق رقم (2).

3- النفقات :

اعتبارا أن المدرسة مؤسسة تعليمية ذات نظام تعليمي ونمط عمراني وتجمع بين الإيواء و التعليم فهي تحتاج إلى نفقات كبيرة بداية من الإنجاز و البناء إلى توفير جميع مستلزماتها وصرف المرتبات إلى جميع المستفيدين من أوقافها، لذلك تعددت نفقات المدارس و هي كالتالي :

*** نفقات البناء :**

لقد اعتنت السلطة بمشروع المدارس من الناحية العمرانية وبلغت المدارس المرتبة الثانية من اهتمامات السلطة بعد المساجد[1] وهو مشروع يحتاج إلى نفقات كبيرة لسد حاجياتها الضرورية حتى تكتمل صورتها العمرانية. فسعى السلاطين لإنجازها في أكمل صورة حتى تنهض بتطوير الحياة الثقافة .

لم توضح المصادر القيمة المالية بالتحديد التي سخرتها السلطة لبنائها، إلا أن الشكل المعماري للمدارس أعط لنا صورة عن مدى بذل السلطة لإنشاءها والاهتمام بشكلها ورونقها المعماري، فهو دلالة واضحة عن خلفية المنافسة القائمة بين السلطتين الزيانية والمرينية التي كانت وراء ضخامة المؤسسة عمرانيا والتي بينت القيمة المالية التي رصدتها السلطة لهذه الغاية .

إن تميز المدرسة التاشفينية عن بقية المدارس في ضخامة العمران، والبعد الهندسي والمعماري الرفيع والزخرفة الفنية المشابهة لقصور السلطان[2] لدلالة واضحة على أنها كلفت مالية الدولة، والتي يعتبرها –البناء المفرط- السلطان أبو حمو موسى الثاني أحد وجوه الإسراف في أموال الدولة[3]. فكان يرفض المبالغة

(1) زكية راجعي، الزخارف الجدارية بالمغرب الأوسط، ص132.
(2) ابن خلدون، العبر، ج7، ص126. التنسي، نظم الدر، ص141.
(3) أبو حمو الزياني، واسطة السلوك، ص122.

في صرف المال في المباني والزخارف[1]، مع إهتماماته بإكرام أهل العلم والصلاح وإنفاقه العام في ليالي المولد النبوي[2].

لقد وقع اختلاف بين نص التنسي ونص يحي ابن خلدون عن استفادة مشروع بناء المدرسة من الأوقاف المحبّسة عليها، فنجد يحي ابن خلدون يناقض قوله عن تاريخ استخدام السلطان أموال الأوقاف عند إعتلائه العرش "وفتح بين يديه الكريمتين أعلى الله مقامه صندوق الأوقاف المنوعة مفعما ذهبا وفضة فلم تغره صفراؤه ولا بيضاؤه شنشة فعرفها من أحزم وسنة علوية عليه، ثم صرف خلد الله ملكه وجه العناية لإحياء رسوم الخلافة و توطيد قواعد الملك وتشييد مصانع الدولة"[3] وكان هذا أثناء إعتلائه الحكم سنة 760هـ[4]، ثم ذكر تعيين الأوقاف والجرايات بالمدرسة سنة 763 هـ أي في السنة التي بدأ فيها مشروع إنشاء المدرسة[5] بمعنى أن نفقات الإنجاز استفادت من أوقاف المدرسة .

ثم يعود ابن خلدون للحديث عن أوقاف المدرسة فيقول "...وأجزل الأوقاف وعين الجرايات و رسم فيها الخطط ..."و ذلك في سنة 765 هـ[6].

من جهة أخرى يخبرنا صاحب زهر البستان عن تخصيص السلطان أبو حمو نفقات خاصة بإنشائها عندما أمر في الشروع بإنجازها، و بعد أن تم إنشاؤها أوقف عليها أوقافا كثيرة[7].

(1) أبو حمو الزياني، المصدر نفسه، ص124.
(2) أبو حمو الزياني، المصدر نفسه، ص167.
(3) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص36-37.
(4) يحيى ابن خلدون، البغية، ج2، ص37. ابن خلدون، العبر، ج7، ص146.
(5) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص104.
(6) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ص136.
(7) مجهول، زهر البستان، ورقة 83 ظ. نقلا عن صابرة الخطيف، فقهاء تلمسان، ملحق رقم 10، ص276.

وهذا ما ذهب إليه التنسي "... فلما كملت المدرسة ... احتفل بها وأكثر عليها من الأوقاف و رتب فيها الجرايات ... وحضر مجلس الإقراء فيها ... فلما انقضى المجلس أشهد بتلك الأوقاف"(1) كما استفادت نفقات إنشاء مدرسة العباد من أوقافها الخاصة، وكانت كل المدارس التي أنشأها أبو الحسن سواء في تلمسان أو الجزائر أو المغرب الأقصى ذات نفقات كبيرة وكلها اشتمل على المباني العجيبة والمصانع العديدة والاحتفال في البناء والنقش والفرش على اختلاف أنواعه من الزليجي البديع والرخام المجزع والخشب المحكم المنقش والمياه النهيرة ..." (2).

*** نفقات الطلبة :**

كان من أهم المقاصد الأساسية من إنشاء المدارس توفير أساليب الراحة لطلبة العلم فتحققت الغاية من إنشائها بتوفير المسكن المجاني وتكفل نظام الأوقاف بجميع نفقات الطلبة(3) .

ولقد أخذت السلطة على عاتقها مسؤولية تقسيم وترتيب نفقات المدارس وعلى وجه الخصوص مرتبات وأرزاق الطلبة التي كانت محل اهتماماتهم، فحدد المحبِّس على مدرسة العبّاد مقدار ما يأخذه الطلبة كل شهر من الحبوب والتي قدرت بخمسة عشر صاعا لكل طالب(4).

وكذلك أشرف أبو حمو موسى الثاني على تقسيم مرتبات الأوقاف بمدرسته وذلك يوم افتتاحها والذي خصه بالاحتفال فرتب فيه الأرزاق وأجرى للطلبة فيها المرتب على أصناف . كما قام بكسوة جميع طلبة المدرسة(5).

(1) التنسي، نظم الدر، ص180.

(2) ابن مرزوق، المسند، ص406.

(3) محمد العقباني، تحفة الناظر، ص17.

(4) ينظر الملحق رقم (2). جورج مارسي، تلمسان، ص79.

(5) يحيى ابن خلدون، البغية، ج2، ص136. مجهول، زهر البستان، الورقة 83 ظ. نقلا عن صابرة الخطيف، فقهاء تلمسان، ملحق رقم 10، ص276.

وتنوعت أرزاق الطلبة فمن بين مستلزمات الغرفة الفراش والمواد الغذائية من السمن و زيت ولحم و فحم و جميع ما يحتاجونه من المؤونة[1] .

كما اهتم أبو عبد الله الشريف التلمساني أثناء إشرافه على المدرسة بالإنفاق على طلبته فكان يوفر لهم أطيب الأطعمة[2].

ولقد جاء في المعيار بعض المسائل المتعلقة بأحقية الطلبة في الإعانات السنوية، والتي كان لهم نصيب منها كغيرهم من العمال والمدرسين، لأن جميع المستفيدين من الوقف شركاء في نفقات الأحباس[3] سواء كانت شهرية أو فصلية، حتى لا يحرم الطالب من حقه كاملا إذا ما غاب عند تقسيم الرواتب[4].

وفي حالة ما إذا كانت مداخيل الأوقاف ناقصة عما كانت عليه فلا يقع النقصان على الطلبة وحدهم، بل يقع على جميع المستفيدين من الوقف لأن الجميع شركاء في الحبس ، لأن ما يقدم إلى الطلبة من نفقات إنما هي في الأصل إحسان وارتزاق وإعانة وارتفاق[5] وتسهيلا منهم حتى يواصل الطلبة مشوارهم الدراسي دون انقطاع لمن كانت ظروفه المادية والاجتماعية عسيرة .

---

(1) ابن مريم، البستان، ص40.

(2) ابن مريم، المصدر نفسه، ص170.

(3) الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص365.

(4) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص352.

(5) الونشريسي، المصدر نفسه، ص264. – أبو عبد الله محمد العقباني، تحفة الناظر، ص17.

الفـــصل الثالث

المنهج التعليمي للمدارس وأثره في تكوين النخب العلمية بتلمسان

المبحث الأول: المنهج التعليمي للمدارس

المبحث الثاني: نتاج المدارس على المستوى الثقافي

المبحث الأول : المنهج التعليمي للمدارس

لقد اهتمت المدرسة بالجانب التعليمي، فكان للمدرّسين الفضل في رسم الطريقة المعتمدة للتدريس بها واختيار الكتب المقررة للدراسة[1] والتي كانت سائدة في معظمها بكل المراكز التعليمية، وغدا دور المدرسين واضحا في تدريس العلوم العقلية والنقلية.

1- طريقة التدريس :

كانت طريقة الحوار والمناظرة[2] هي المعتمدة للتدريس بالمدارس، كما كانت سائدة بجميع المراكز التعليمية، حتى على مستوى مجالس السلاطين[3].

وتساعد هذه الطريقة على تكوين الملكة العلمية واكتسابها للطلبة[4]، من خلال مناقشاتهم للأساتذة في المسائل العلمية والوقوف لتحقيقها، وحل ما يعرض فيها من إشكال وعرض أقوال العلماء، لأن فتح باب المناقشة بين الطالب ومدرسه يعينه على إظهار قدراته ودرجة استيعابه للمسائل وفهمها وتحليلها، فتظهر براعة الطلبة وينمو إبداعهم الفكري.

يؤكد ابن خلدون أن هذه الطريقة اعتمدت للتدريس بتلمسان بقدوم الفقيهين ابني الإمام والفقيه أبي موسى عمران المشذالي لاتصال سند تعليمهم بعلماء المشرق وعلماء تونس[5].

(1) محمد القطري، الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي، القاهرة، دار عطوة للطباعة، د.ط، د.ت، ص135.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص320. أبو عبد الله محمد ابن الأزرق الأندلسي، بدائع السلك في طبائع الملك، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم، تونس، الدار العربية للكتاب، ج2، ص816.

(3) ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص134-135-136. -المقري، نفح الطيب، ج6، ص183 وما بعدها. أزهار الرياض، ج5، ص18 وما بعدها.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ص320.

(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص320. ابن الأزرق، المصدر السابق، ج2، ص815-816.

فهي الطريقة نفسها المعتمدة بمدرسة أولاد الإمام، فكان أبو زيد ابن الإمام يركز أثناء درسه على مناقشة ومناظرة طلبته[1] وساعدته قوة حفظه على ذلك[2] وكان إبراهيم بن الحكم السلوي دائم الحضور في مناظرة شيخه أبي زيد الذي كان يفتح باب الحوار لطلبته[3]، ومما روي عنه كذلك أنه ناقش طالبه أبا عبد الله الشريف وتجاذبا الكلام جوابا واعتراضا حتى ظهر الحق لأبي عبد الله الشريف"[4].

وكان أبو زيد ابن الإمام يطرح على طلبته المسائل العلمية الصعبة ثم يستمع لآرائهم فيها، وهو يريد بذلك تدربيهم على البحث والاجتهاد[5].

ونجد المقري يستفيد من مدرسه أبي موسى ابن الإمام من خلال أسئلته واستفساره في أقوال العلماء وشرح المسائل العلمية[6]، مع العلم أنه اعتمد في إقرائه على أسلوب الإلقاء والتقرير[7].

ولقد اُعتمدت نفس الطريقة للتدريس بالمدرسة اليعقوبية إلا أن أبا عبد الله الشريف أضاف إلى طريقة البحث والمناظرة أسلوب البحث المعمق في المسائل والذي كان يراه الأنفع لطلبته[8]، "فإذا طال بحثهم أمرهم بتقييد المسألة ثم يفصل بينهم"[9] حيث يكون ملخصهم في المسألة انفراديا، ولقد اعتمد على هذا الأسلوب الأسلوب لتعويد الطلبة على الاجتهاد والتدقيق في البحث[10]، فكان يبذل جهدا في إلقاء دروسه، حتى عرف اعتنائه بالإقراء أكثر من التأليف[11]، ومجالسه العلمية

---

(1) المقري، المصدر السابق، ج6، ص184-185. –أزهار الرياض، ج5، ص21-22-23-24-33-34.
(2) ابن مرزوق، المسند، ص266.
(3) المقري، المصدر نفسه، ج6، ص183-184-185. – المقري، المصدر نفسه، ج5، ص19-20-21.
(4) ابن مريم، البستان، ص171.
(5) ابن الخطيب، الإحاطة، مج 2، ص137. المقري، المصدر نفسه، ج6، ص189. المقري، المصدر نفسه، ج5، ص33-34.
(6) المقري، المصدر نفسه، ج6، ص189. – المقري، المصدر نفسه، ج5، ص26-27.
(7) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص266.
(8) ابن مريم، المصدر السابق، ص174.
(9) ابن مريم، المصدر نفسه، ص174.
(10) ابن مريم، المصدر نفسه، ص174.
(11) ابن مريم، المصدر نفسه، ص173.

مجالس دراية وتحقيق إذا تكلم في المسألة أوضحها[1]، ومما عُرف عنه أيضا إنصافه في البحث والمناظرة[2]. أما ولده المدرس عبد الله فقد فاق والده في تدريسه وذلك لاعتماده على أسلوب التبسيط وتقريب الفهم وترتيبه أثناء الشرح،[3] الشرح،[3] ولقد جرى المدرس أبو محمد عبد الله الشريف على "سنن والده في تدريسه نظرا وتحقيقا واستبصارا"[4].

أما الحسن بن مخلوف أبركان فيعتمد في تدريسه على البدأ بإيضاح صورة المسألة حتى يفهمها جميع الطلبة، ثم يتسع في نقل كلام الشراح وبعدها يبحث المسألة مع طلبته، وكان يفضل مشاركة الطلبة في تحقيقه لمسائل الفقه[5]، وهذا ما ما ذهب إليه ابن خلدون حيث يرى أن تلقين العلوم "يكون على سبيل التدرج فيلقى عليه مسائل في ذلك الباب ويقرب له شرحها على سبيل الإجمال، ثم يرقى التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من خلاف إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجرد ملكته"[6].

أعطانا التنسي صورة عن درس شيخه قال: "كنت أحضر مجالس الشيح سيدي الحسن في تدريسه لفروع ابن الحاجب"، قال وكان إذا أخذ في البحث والمعارضة بين المسائل، أجعل بالي إليه وأكف عن الكلام لأحصل ما يجريه الله على لسانه من العلوم والفوائد فيرد وجهه إليّ ويقول لي مالك سكتّ أعِنّا ... قال ويكرر ذلك علي فنأخذ معه في الكلام ونذكر له ما وقف عليه من كلام أهل العلم في المسألة فيبتهج بذلك ....."[7].

(1) ابن مريم، المصدر نفسه، ص174.
(2) ابن مريم، المصدر نفسه، ص173.
(3) التنبكتي، النيل، مج1، ص243. ابن مريم، المصدر السابق، ص119.
(4) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص243. ابن مريم، المصدر نفسه، ص118.
(5) ابن صعد، روضة النسرين، ص126. – ابن مريم، المصدر السابق، ص87، 92.
(6) ابن خلدون، المقدمة، ص431.
(7) ابن صعد، المصدر نفسه، ص127.

2- البرنامج الدراسي :

لم تعرف المدارس في منهجها التعليمي نظام التخصصات، بل كان قائما على أسلوب تنوع العلوم ما بين العقلية والنقلية، إلا فيما يتعلق بتخصيص المذهب المالكي في دراسة الفقه باعتباره المذهب الرسمي[1]، والذي نال العناية القصوى من قبل علماء الدولة[2].

ولم يكن المقرر الدراسي للمدارس خاضعا لاختيار السلطة، حيث أنها لم تفرض على المدرسة برنامجا محددا للدراسة، ومن جهة أخرى لم تعارض ما كان يدرس بها من العلوم، مع العلم أن معظم هذه الكتب كانت متداولة بالمساجد والزوايا.

وفي أغلب الأحيان كان للأساتذة المشرفين على المدارس الحرية في اختيار بعض الكتب كمقررات دراسية، فكان أبو عبد الله الشريف التلمساني يفضل تدريس كتابه في أصول الفقه "مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول"[3]، كما كان يدرس شرحه لكتاب جمل الخونجي[4]. وأدرج المدرس ابن زاغو[5] زاغو[5]

(1) ألفردبل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقية، ص356-357.

(2) ينظر: محمد بوشقيف، العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م، رسالة لنيل درجة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 1424-1425/2003-2004، ص143. خالد بلعربي، أضواء على الحركة العلمية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الآداب والعلوم النسانية، تصدرها كلية الأداب والعلوم والإنسانية جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، العدد 3، ربيع الأول 1425 أبريل 2004، ص173

(3) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص242. ابن مريم، البستان، ص118.

(4) ابن مريم، المصدر نفسه، ص118، 173.

(5) أبو العباس أحمد ابن زاغو: المغراوي، ولد بتلمسان في حدود سنة 782هـ/1380م، أخذ على أبي عثمان سعيد العقباني بالمدرسة اليعقوبية، وعلى الفقيه أبي يحيى الشريف التلمساني، رحل إلى المشرق وحج ولي جماعة من العلماء، اهتم بالتدريس و الإفتاء والتأليف، توفي سنة849هـ/1445م . ينظر: القرافي، توشيح الديباج، ص34-35. القلصادي، الرحلة، ص102-103. التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص122 وما بعدها. الونشريسي، الوفيات، ص143. ابن القاضي، درة الحجال، ص36. ابن مريم، البستان. محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص366.

مؤلفاته في التدريس بالمدرسة اليعقوبية في علم التفسير وعلم الفرائض[1].

ولقد أخذت العلوم العقلية والنقلية وعلوم اللغة العربية النصيب الأوفر من الدراسة، بينما نجد بعض الكتب شبة غائبة من البرنامج الدراسي، إلا ما ثبت عن أبي عبد الله الشريف إتقانه لعلم الطب والتشريح[2]، فمن المحتمل أنه درّس هذه العلوم بالمدرسة اليعقوبية.

ولم تذكر المصادر جميع الكتب المقررة للدراسة بالمدارس، ففي علم التفسير نجد مؤلفات ابن زاغو وهي مقدمته في التفسير، وتفسير سورة الفاتحة والتذييل في ختم التفسير[3]، ولعل سبب غياب مقررات التفسير في البرنامج هو اعتماد المدرسين على خبراتهم وقدراتهم العلمية في تفسير القرآن الكريم، فقد أخبرنا أبو جعفر الوادي آشي أنه أخذ جملة وافرة من تفسير كتاب الله العزيز من سورة الأعراف بما يجب لذلك من التحقيق والتحرير، مما ذكره المفسرون، وما لم يذكره صاحب التفسير، بل من نتائج فكره المصيب ومتلقياته عن مشايخة الأعلام الذين ورث مقاماتهم بالفرض والتعصب"[4] أما في علم القراءات نجد كتاب حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني[5]، وهي القصيدة المشهورة بالشاطبية[6].

---

(1) القلصادي، الرحلة، ص103. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص122-123.

(2) ابن مريم، المصدر السابق، ص173.

(3) القلصادي، المصدر نفسه، ص103. التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص122-123. محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص366.

(4) أبو جعفر البلوي، الثبت، ص319.

(5) المقري، نفح الطيب، ج6، ص175.

(6) مؤلف هذه الأرجوزة هو أبو محمد القاسم بن فيرة الشاطبي المتوفي بالقاهرة ص 590هـ وأبيات الأرجوزة 1173 بيتا، أبدع فيها كل الإبداع حتى صارت عمدة في فن القراءات، ينظر: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1419-1999، ج1، ص502.

وفي علم الحديث نجد صحيح البخاري وصحيح مسلم معتمدين للتدريس والموطأ وكتاب التقصي لابن عبد البر وكتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض والأحكام الصغرى لابن عبد الحق[1]، وفي المنطق نجد كتاب المطالع للسراج الأرموني[2]، وكتاب الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق[3] لأفضل الدين محمد بن نماور الخونجي[4].

وفي علم الحساب نجد كتاب تلخيص أعمال الحساب[5] لأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن البناء (ت 721هـ) [6].

كما أعتمد للتدريس علم الحساب كذلك الأرجوزة الياسمينية[7] في الجبر والمقابلة[8]، وفي الهندسة كتاب إقليدس[9].

وفي علم الفرائض، فبالإضافة إلى شرح التلخيص لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي في الفرائض[10]، نجد كتاب الفرائض والمشهور بالحوفي لمؤلفه أحمد بن خلف الحوفي[11] وكتاب منتهى التوضيح في عمل الفرائض[12].

(1) القلصادي، المصدر السابق، ص103. أبو جعفر البلوي، المصدر السابق ، ص320. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص242. المقري، المصدر السابق ، ج6، ص176.

(2) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص242.

(3) المقري، المصدر نفسه، ج2، ص187.

(4) الكتاب عبارة عن قواعد في المنطق وأحكامه، ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، مج1، ص472.

(5) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص204.

(6) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج1، ص383.

(7) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص242.

(8) مؤلف هذه الأرجوزة هو أبو محمد عبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين (ت 600هـ)، ينظر: حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج1، ص110-111.

(9) التنبكتي، المصدر نفسه ، مج1، ص242.

(10) القلصادي، المصدر نفسه ، ص103. التنبكتي، المصدر نفسه ، مج1، ص122-123.

(11) فيلالي، تلمسان، ج2، ص473.

(12) القلصادي، المصدر نفسه ، ص103.

ولقد اعتمد المدرسين في تدريس الفقه على كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب الفرعي[1] وكتاب المختصر لخليل بن إسحاق[2]، ومختصر المدونة إلا بن أبي زيد[3]، وكذلك نجد كتاب المختصر في الفروع لعثمان بن عمر بن الحاجب[4].

وفي علوم اللغة العربية نجد في علم البيان أعتمد للتدريس كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد[5] لجمال الدين أبي عبد الله محمد المعروف بابن مالك[6].
مالك[6].
بالإضافة إلى الألفية[7] وكتاب الجمل في النحو[8].

هذا بالإضافة إلى كتاب الإيضاح في النحو[9] للفارسي[10]. وكتاب النحاة لابـــن سينا[11]، وكتاب مغني اللبيب لابن هشام[12]، أما في علم العقيدة نجد كتاب

(1) المقري، المصدر السابق، ج6، ص185-186-187. القلصادي، المصدر السابق، ص103. ابن صعد، روضة النسرين، ص126. أبو جعفر البلوي، المصدر السابق، ص320.

(2) القلصادي، المصدر نفسه، ص104.

(3) ابن صعد، المصدر السابق، ص126. المقري، المصدر السابق، ج6، ص174.

(4) ابن صعد، المصدر نفسه، ص127. التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص242.

(5) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص242.

(6) وهو كتاب جامع لمسائل النحو بحيث لا يفوت ذكر مسألة من مسائله وقواعده، حاجي خليفة، المرجع السابق، ج1، ص338.

(7) أبو جعفر البلوي، المصدر السابق، ص390. وهو كتاب الألفية في النحو للشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد المعروف بابن مالك النحوي (ت672هــ)، ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص172-173.

(8) أبو جعفر البلوي، المصدر السابق، ص320، و لم يفرق لنا البلوي بين ثلاث كتب في النحو كلها بعنوان "الجمل في النحو"، الأول لعبد القادر الجرجاني (ت474هت)، والثاني لأبي القاسم الزجاجي (ت339هــ)، والثالث لأبي عبد الله محمد بن هشام النحوي (ت570هــ) ينظر: حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج1، ص472-473-474.

(9) التنبكتي، المصدر نفسه ، مج1، ص242.

(10) هو أبو علي حسن بن أحمد الفارسي النحوي المتوفي سنة 377هــ، وكتاب متوسط مشتمل على مائة وستة وتسعون باب إلى مائة وست وستين نحو والباقي إلى آخره تصريف، ينظر: حاجي خليفة، المصدر نفسه ، ج1، ص214.

(11) التنبكتي، المصدر نفسه ، مج1، ص204.

(12) البلوي، المصدر نفسه ، ص320.

العقيدة البرهانية[1] للفقيه أبي عمر وعثمان السلالجي (ت564هـ)[2]، ونجد كذلك كذلك كتاب الاقتصاد في الاعتقاد[3] لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ)[4] وفي السيرة فقد ذكرت لنا المصادر سيرة ابن إسحاق[5].

ولقد اعتنت المدارس بتدريس التصوف نجد بالإضافة إلى إحياء علوم الدين وكتاب الميزان لأبي حامد الغزالي[6]، ونجد كتاب الحكم العطائية[7] لابن عطاء الله الإسكندري[8]، وشرح الحكم العطائية لابن عباد[9]، ونجد كذلك كتاب لطائف لطائف المنن[10] في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه وأبي الحسن لابن عطاء الله السكندري[11] ونجد في علم الجدل كتاب المقترح للبروني[12].

(1) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص04.

(2) حاجي خليفة، المصدر لسابق، مج2، ص164.

(3) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص242.

(4) حاجي خليفة، المصدر نفسه ج1، ص161.

(5) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص242.

(6) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص242. القلصادي، المصدر السابق، ص104.

(7) القلصادي، المصدر نفسه، ص103.

(8) هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله السكندري الشاذلي المالكي المتوفي بالقاهرة سنة 709، وهي حكم منثورة على لسان أهل الطريق، ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص520.

(9) القلصادي، المصدر نفسه، ص103.

(10) القلصادي، المصدر نفسه، ص103.

(11) الكتاب فيه جملا من فضائل الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي الأنصاري الفارسي وشيخه أبي الحسن الشاذلي الذي نقل عنه أو سمع منه، ورتبة على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، ينظر حاجي خليفة، المرجع السابق، ج1، ص463.

(12) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص242.

3- التقسيم الزمني للبرنامج الدراسي :

في ظل غياب التقسيم الزمني لبرنامج الدراسة المتعلق بالمدارس، نعتمد على التوقيت الخاص بالمدرسة اليعقوبية والذي كان مقسما إلى فصلين، ففي الشتاء يأخذون في دراسة الحديث والفقه، وفي فصل الصيف الأصول والعربية، والبيان والحساب والفرائض والهندسة(1)، هذا التقسيم كان معتمدا بالمدرسة على عهد المدرس أحمد ابن زاغو(2)، وهذا الأخير اعتمده المدرسون قبله، فقد كان أبو أبو محمد عبد الله الشريف يدرس الأحكام الصغرى لإبن عبد الحق من صلاة الصبح إلى قرب الزوال، ويدرس العلوم العقلية في فصل الصيف، وكل من الأصول والعربية وسائر العلوم في فصل الصيف، حيث نجد نهاره كله يستغرق في الدراسة، لا يقطعه إلا في أوقات الصلاة، حتى إذا تشاح الطلبة قسموا الوقت بالرملية، وغالبا ما كان يستمر الدرس إلى المغرب(3). وهذا التقسيم كان معتمدا بمدارس المغرب الأقصى فكانوا في فصل الشتاء يكتفون بتدريس القليل من العلوم، وفي باقي فصول السنة تكون الدراسة مكثفة، ويعود هذا التقسيم إلى طبيعة المناخ، فتكثيف البرنامج في الفترة التي تلي فصل الشتاء تعينهم على طلب العلم لاعتدال الطقس، وطول النهار يكفيهم للراحة والدراسة(4). ويكون الدّرس بعد صلاة الصبح بقراءة الحزب (القرآن الكريم)(5) وكان أبو عبد الله الشريف يفضل درس الفقه بعد التفسير(6)، كما أن وجود المسجد الملحق بالمدرسة يعين الطلبة والمدرسين على عدم فصل حلقات الدرس لوقت طويل(7).

---

(1) القلصادي، المصدر السابق، ص104.

(2) القلصادي، المصدر نفسه، ص104.

(3) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص243 . – ابن مريم، المصدر السابق، ص119.

(4) الونشريسي، المعيار، ج7، ص353.

(5) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص17.

(6) ابن مريم، المصدر السابق، ص174.

(7) الونشريسي، المصدر نفسه، ج7، ص 245. - ابن مريم، المصدر نفسه، ص174.

4- الواقع التعليمي للعلوم النقلية والعقلية بالمدارس :

لقد كانت العلوم النقلية محل اهتمام المدرسين والطلبة بالمدارس، فاعتنوا بتفسير القرآن الكريم، إذ نجد أبا عبد الله الشريف منتظما وحريصا على درس التفسير مواضبا على قراءة الحزب بصفة دائمة، ويقرئ في درس التفسير نحو ربع حزب يوميا[1]، وأول ما افتتح به أبو عبد الله الشريف التعليم بالمدرسة درس التفسير [2].

وقبل هذا كله فقد كان درسه في التفسير حاضرا على مستوى الحضرة السلطانية في مجلس أبي عنان الذي شهد له بتفوقه في علم التفسير [3].

كما اشتهر أحمد ابن زاغو بتقدمه في علم التفسير تدريسا وتأليفا[4]، وعلى المنوال نفسه تأثر الحافظ التنسي بمدرسه ابن زاغو واعتنى هو كذلك بعلم التفسير[5] منظما أوقاته لتدريسه ومحدّدا له أيام خاصة [6]. وعلى ما يبدو فإن علم علم الفقه أخذ القسم الأكبر من الحصص الدراسية[7] بالمدارس، مقارنة بالعلوم الأخرى، حيث اعتمد المدرسون في إقرائهم الفقه المالكي "على تحليل المدونة على طريقة المناقشات اللفظية وضبط الروايات وتصحيحها"[8].

---

(1) ابن مريم، المصدر السابق، ص174.

(2) مجهول، زهر البستان و83ظ. يحى ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص136. التنسي،نظم الدر والعقبان، ص180.

(3) ابن مريم، المصدر نفسه، ص171.

(4) القلصادي، المصدر السابق، ص103. التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص122-123. محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص366.

(5) ابن صعد، روضة النسرين، ص141. – التنبكتي، المصدر نفسه، مج2، ص261.

(6) أبو جعفر الوادي آشي، الثبت، ص320.

(7) ينظر: القلصادي، المصدر السابق، ص104. ابن صعد، المصدر السابق، ص126. ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص136-137. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص276. مج2، ص242-243-244. المقري، نفح الطيب، ج6، ص19 وما بعدها. أزهار الرياض، ج5، ص19 وما بعدها.

(8) فيلالي، تلمسان، ج2، ص448.

فكان أبو زيد بن الإمام كثير الإقبال على تدريس الفقه المالكي(1)، وذلك بحكم مكانته العلمية في الفقه فهو كان شيخ المالكية بتلمسان(2)، وكان أبو عبد الله الشريف على طريقة شيخه أبي زيد في تدريس الفقه في أكثر أوقاته بالمدرسة اليعقوبية، مركزا في تدريسه على المدونة (3).

إن أبا موسى بن عمران المشذالي الذي يعد من كبار الفقهاء(4) كان من جملة ما يدرسه بالمدرسة التاشفينية جميع العلوم التي يتقنها، إلا أنه كان "كثير الإتساع في علم الفقه والجدل"(5).

واهتم أبو الحسن بن مخلوف أبركان بتدريس الفقه معتمدا على التدقيق والتحقيق في حل المسائل حتى صار كثيرا من العلماء والمدرسين يصرّحون بتفوقه في تدريس الفقه(6)، وانتفع الناس بتدريسه في قراءة كتب الفقه(7)، "وكان إذا بحث في مجلسه من الفقهاء لم يسمع بحثه حتى يسأله عن صورة المسألة فبعضهم يرجّح عليه وبعضهم يقررها على غير ما هي عليه، ومن فساد تصورها نشأ له التخليط والبحث في تصديقها وبالجملة لا يسمع الشيخ مجازفة ولا تخليطا ولا كلاما في تصديق مسألة إلا بعد اتفاق تصورها"(8).

(1) ابن الخطيب، المصدر السابق، مج2، ص136-137. -المقري، المصدر السابق، ج6، ص184-185-186. أزهار الرياض، ج5، ص20-21-22-23-24.

(2) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص386. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص266. ابن مريم، المصدر السابق، ص127.

(3) ابن مريم، المصدر نفسه، ص172.

(4) ينظر فتاويه وتحليله للمسائل الفقهية خاصة الفتوى المتعلقة باتخاذ الركاب من الذهب أو الفضة. ينظر: المازوني، الدرر المكنونة، ج1و59 و154 وما بعدها، ج2 و395ظ.

(5) ابن الخطيب، المصدر السابق، مج2، ص1223. - المقري، المصدر السابق، ج6، ص187.

(6) ابن مريم، المصدر السابق، ص92.

(7) ابن صعد، روضة النسرين، ص126.

(8) ابن مريم، المصدر السابق، ، ص92.

وذكر التنسي عن تدريسه للفقه قال "كنت أحضر مجالس الشيخ الحسن في تدريسه لفروع ابن الحاجب ويأتي في أثناء تقريره بالعجائب مما لا أشاهده عند غيره من علماء الوقت"(1).

كما كان السير على منهج الاجتهاد في المذهب المالكي قائما بالمدارس(2) والذي ساد وانتشر على يد ابني الإمام، وأبو موسى عمران المشذالي، فتخرج على هؤلاء العديد من الطلبة عدوا فيما بعد من كبار الفقهاء المجتهدين(3).

اعتنى علماء المدارس كذلك بتدريس العلوم العقلية، فإلى جانب العلوم الشرعية اهتم أبو موسى ابن الإمام بتدريس المنطق والأصلين(4) وعلم الكلام(5)، الكلام(5)، كما اشتغل أبو موسى المشذالي بتدريس الأصلين والمنطق والجدل والفرائض بالمدرسة التاشفينية(6). وكان الحسن أبركان من جملة ما يتقنه من العلوم علم الفرائض والحساب(7).

ولم يكن هذا التطوّر في تدريس العلوم العقلية وليد طلبة وعلماء المدارس التلمسانية بل ساهمت المشيخة العلمية المغربية والتونسية في ذلك بسهم وافر، فقد أخذ أبو عبد الله الشريف التلمساني جملة وافرة من العلوم العقلية على يد ابن عبد السلام التونسي فقرأ عليه كتاب الشفاء لابن سينا ومن تلخيص كتاب أرسطو لابن رشد ومن الحساب والهندسة والفرائض(8)، وأتقن هذه العلوم تعليما "ولم يجد بها

(1) ابن صعد، المصدر السابق، ص127.
(2) ألفردبل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص356.
(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ص334. المقري، المصدر السابق، ج6، ص187. أزهار الرياض، ج5، ص28.
(4) ابن خلدون، التعريف، ص22-36.
(5) المقري، المصدر نفسه، ج5، ص30. المصدر نفسه، ج6، ص187. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص396، مج 2، ص66.
(6) الونشريسي، المعيار، ج7، ص 245. - ابن مريم، المصدر نفسه، ص174.
(7) ابن مريم، المصدر نفسه، ص86-87.
(8) ابن مريم، المصدر نفسه، ص165.

صعوبة حتى صار إماما في العلوم العقلية كلها منطقا وحسابا وتنجيما وهندسة وموسقى وطبا وتشريحا وفلاحة"[1].

ونلاحظ مساهمة أبي عبد الله الآبلي في تطور العلوم العقلية بتلمسان[2]، واستفاد منه عدد من علماء المدارس منهم أبو عبد الله الشريف[3] وعبد الرحمن ابن خلدون[4] وأبو عثمان سعيد العقباني الذي أخذ الأصول عن الأبلي[5]، وقد ساهم أبو عثمان في العلوم العقلية تأليفا[6] وتدريسا[7].

ومن المؤكد أن أبا عثمان سعيد العقباني أخذ بالطريقة الجديدة في حساب الفرائض للتدريس بالمدرسة التاشفينية[8] هذه الطريقة التي ابتكرها أبو القاسم عبد عبد الرحمن القرشي الذي ألف في هذا الغرض مقالة نوه بها سعيد بن محمد العقباني في شرحه مختصر الحوفي وقال عنها: "هي طريقة تحذر فيها أن تخرج الفريضة على هذا الوجه، بل لا تخرج في تلك الطريقة إلا من عدد تصح منه الكثير، وهي طريقة بديعة وما أراها إلا من اختراعه لم يسبقه بها غيره، إلا أنه لم يضع منها سوى ما يتعلق بوضع أصل الفريضة أو بعمل المناسخات... وهو ما حملني على وضع هذا الكتاب لأخلص تلك الطريقة وألخصها... فتممت الطريقة وأوضحت كيفية جريانها في كل باب من أبواب الفرائض"[9].

---

(1) ابن مريم، المصدر السابق، ص173.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ص37. التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص66. المقري، المصدر السابق، ج6، ص202-203.

(3) التنبكتي، المصدر نفسه، مج2، ص71. ابن مريم، المصدر نفسه ، ص169-26.

(4) ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص21-23. التنبكتي، المصدر نفسه ، مج2، ص67. ابن مريم، المصدر نفسه ، ص216.

(5) التنبكتي، المصدر نفسه، مج2، ص66.

(6) من مؤلفاته في العلوم العقلية، شرح الحوفي، شرح جمل الخوجي، وتلخيص ابن البناء، وابن الياسمين في الجبر والمقابلة، ينظر: التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص204.

(7) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص 204. بن مريم، المصدر نفسه، ص106.

(8) ابن صعد، المصدر السابق، ص96. التنبكتي، المصدر نفسه، ص204. ابن مريم، المصدر نفسه، ص106-107.

(9) فيلالي، تلمسان، ج2، ص473.

ولقد اعتمدت طريقة التصحيح والكسور للتعليم بتلمسان، وانتقلت عن طريق طلبته كان منهم ولده قاسم بن سعيد يعتمدها للتدريس، كما وجد القلصادي بعض المدرسين يعتمدونها للتدريس بتلمسان[(1)] أمثال عيسى الرتيمي[(2)].

5- الإجازة العلمية :

على عادة التعليم الإسلامي كان إذا أتم الطالب تعليمه على شيخه يجيزه في العلوم أو الكتب التي قرأها عليه، "فهي تشهد للطالب فعلا بدراسة الكتاب"[(3)] وتعد وتعد الإجازة الشهادة العلمية المحصل عليها في المستوى العلمي الذي وصل إليه الطالب، بعد أن أخذ من المعرفة والعلوم ما يهيئه إلى إجازة تدريس الكتاب أو الكتب المجاز بها، أو رواية الحديث المأذن له في روايته[(4)].

حتى القرن الثامن والتاسع هجري بتلمسان لم يكن التعليم متوقفا على منح الإجازات للطلبة من أجل أن يشغلوا مناصب التدريس، وهذا ما أكده المدرس أبو عثمان سعيد العقباني، إنما كانت الإجازة ضرورية وينتفع بها في رواية الأخبار والإنشاءات المتواترة وغيرها، ولم يتخذها أهل العلم شرط لتولي منصب الفتيا أو التعليم[(5)].

وعلى عادة التعليم بجميع المراكز التعليمية بتلمسان لم تكن المدرسة ملزمة بمنح الإجازات العلمية، إلا في الحالات النادرة وبرغبة الطلبة في أخذ الإجازة

(1) القلصادي، الرحلة، ص99-101.
(2) هو أبو مهدي عيسى الرتيمي المشهور بعيسى أمزيان، قرأ عليه الشيخ الحسن بن مخلوف أبركان، تاريخ وفاته مجهول ودفن بالقرب من ضريح الشيخ الحلوي. ينظر: القلصادي، المصدر السابق، ص99. ابن مريم، المصدر السابق، ص86.
(3) محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، سلسلة مكتبة التربية الإسلامية، إشراف لويس يراريث فرنانديث، بيروت، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ص414.
(4) أحمد شبلي، تاريخ التربية الإسلامية، ص267.
(5) الونشريسي، المعيار، ج8، ص236.

من المدرسين، فنجد سعيد بن محمد العقباني قد أجاز الإمام محمد بن عقاب الجذامي، وهو الطالب الوحيد الذي أجازه من جملة طلبته بالمدرسة اليعقوبية(1).

كما أجاز المدرس الحافظ التنسي أبو جعفر البلوي الوادي آشي إجازة تحريرية في بعض من البيوع من كتاب مسلم وبعض من ابن الحاجب والتهذيب ومغني اللبيب وذلك بمجلسه بداخل المدرسة اليعقوبية. وكتب الحافظ التنسي نص الإجازة لطالبه بخط يده(2)، وهي كالتالي :

"الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ما دام ملك الله، قرأ عليّ الفقيه النبيل المشارك المتفنن أبو العباس أحمد بن علي بن داود الأندلسي جل ما في هذا الجزء من قصائد شيخنا الفقيه العارف الصوفي أبي إسحاق إبراهيم اللنتي التازي، أفاض الله علينا وعليه من أنواره، حسب قراءتي إياها على ناظمها، وأذنت له أن يرويها عني ويرويها غيره، وأن يحدث عني بما سمع مني من غيرها، وما صح عني من مروياتي، ومنظوم لي ومنثور وما تلقيته من فوائد شيوخي، رضي الله عنهم.

وأجزته في جميع ما يتعاطاه من العلوم إجازة تامة، لما صح عندي من أهليته لذلك نفعه الله ونفع به، وكان لنا وليا وحافظا هو حسبنا ونعم الوكيل.

قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلى الله تعالى، الراغب إليه في صلاح حاله: محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي أخذ الله بيده، وكفاه هم الدنيا وتبعات الآخرة في أواخر شعبان من سنة خمس وتسعين وثمانمائة، عرفنا الله خيره، آمين"(3).

---

(1) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص204. ابن مريم، المصدر السابق، ص107.

(2) أبو جعفر البلوي، الثبت، ص318-319.

(3) أبو جعفر البلوي، المصدر نفسه، ص319.

المبحث الثاني : نتاج المدارس على المستوى الثقافي

1- طلبة المدارس بين التنوع العلمي والتخصص:

لقد ساهم تعدد الكتب المقررة للدراسة وتنوعها ما بين العلوم النقلية والعلوم العقلية إلى حد كبير في التكوين العلمي لطلبة المدارس.

فنلاحظ أن معظم طلبة المدارس خلال ق 8هـ/14م كان اختصاصهم الفقه، خاصة خريجو مدرسة أولاد الإمام[1]، ومن تتبع نفح الطيب وأزهار الرياض يتضح لنا دور المدرس أبو زيد ابن الإمام في التكوين الفقهي لطلبته[2]، دون أن نهمل عامل تخصص المدارس وتركيزه أثناء التدريس على فنون العلم التي يتقنها، مع العلم أن المدرس أبا زيد كان شيخ المالكية بتلمسان[3]. والدليل على ذلك تسجيل المقري أهم المناقشات الفقهية بمجلسه والمتعلقة عموما بالفقه وأصوله[4].

ويخبرنا يحيى ابن خلدون وهو يعرفنا دور الفقيهين في تقدم التعليم بتلمسان قائلا "وتركا بتلمسان خلفا كثيرا ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا، بلغ كثير منهم مقام التدريس والعلم والفتيا في النوازل نجابة درس ونظر"[5]، كذاك قال ابن فرحون "تخرج عليهما الكثير من الطلبة الفضلاء"[6] قد كان اختصاص طلبة مدرسة أولاد

(1) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص115، 120، 123، 130. ابن مرزوق، المسند، ص266، 267. خالد بلعربي، ملامح الحركة التعليمية في تلمسان خلال القرن (8هـ-14م)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2002-2003، العدد 02، ص225.

(2) المقري، المصدر السابق، ج6، ص184، وما بعدها. أزهار الرياض، ج5، ص20 وما بعدها.

(3) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص386. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص266. ابن مريم، المصدر السابق، ص127.

(4) المقري، المصدر نفسه، ج6، ص184-185-186. المصدر نفسه، ج5، ص20 وما بعدها.

(5) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص130.

(6) ابن فرحون، المصدر نفسه، ج1، ص394.

الإمام بالفقه متفاوتا، فنجد أبا العباس أحمد بن مرزوق[(1)] وأبا العباس أحمد بن المشوش[(2)] وأبا عبد الله الباروني[(3)] لم يتجاوزوا درجة الفقهاء العادين، من جهة أخرى نجد من الطلبة من بلغ مرتبة الإجتهاد أو الفتوى في المذهب المالكي[(4)].

ولعل السبب وراء اتجاه الطلبة إلى الاهتمام بعلم الفقه أنه يسهل لهم أمر الوظيفة بعد تخرجهم أو بدافع الاشتغال بالوظائف الإدارية أو التعليمية كالقضاء والفتيا وأمر الزكاة وسماع الشكايات، هذه الوظائف التي تستدعي التحقيق والتعمق في دراسة الفقه.

كما نجد في هذا المجال أبا عبد الله ابن عبد النور الذي يعتبر شخصية علمية بارزة في الفقه على مذهب مالك[(5)]، مما أمكنه الاشتغال بالتدريس والفتيا والقضاء[(6)]، في حين نجد أخاه أبا الحسن بن عبد النور كان أقصر باعا في الفقه منه[(7)]، هذا الأخير الذي اشتغل نائبا على أشغال أخيه علي بن عبد النور أثناء سفره مع السلطان أبي الحسن إلى إفريقية[(8)] كما ولاه قضاء مكناسة[(9)]، ونجد كذلك على سبيل المثال لا الحصر الفقيه أبا سعيد عثمان العقباني الذي كان طالبا بمدرسة أولاد الإمام، فبالإضافة إلى اختصاصه بالعلوم العقلية ومعرفته الحساب

---

(1) وهو أبو العباس أحمد بن مرزوق ولد سنة 681هـ/1282م، قرأ العلم على علماء تلمسان وفاس، كان من أهل الصلاح والزهد والورع، توفي أثناء الحج بمكة سنة 741هـ. يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص115.

(2) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص130.

(3) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص130.

(4) سيأتي ذكرهم لاحقا.

(5) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج1، ص121-122. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص267. ابن خلدون، التعريف، ص46، 47.

(6) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص122.

(7) ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص47.

(8) ابن مرزوق، المصدر نفسه ، ص267. ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص47.

(9) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص47.

والهندسة، كان فقيها على المذهب المالكي[1]، مما أمكنه التصدر للإقراء بالمدرسة بالمدرسة التاشفينية[2] وتولى منصب القضاء بتلمسان[3].

أما منصب التدريس فنجد أبا الله الشريف التلمساني الذي أخذ ابني الإمام بمدرستهما وتفقه عليها في الفقه والأصول[4] "واشتغل هو الأخر بالتدريس في المدرسة اليعقوبية[5] وكذلك بالمجلس العلمي للسلطان أبي عنان المريني، ولقد أثبت جدارته في الفقه عندما امتحنه السلطان أبو عنان[6]، فمما ثبت عنه أن اهتمامه بالفقه وتركيزه على درس المدونة يوميا[7]، كان "إمام المالكية بالمغرب بلغ درجة الاجتهاد في المذهب"[8].

كما ساهم عامل التأثر بالمدرسين إلى حد كبير في اختصاص الطلبة في فن من فنون العلم فمما روي عن أبي عبد الله الشريف في المجال الفقهي أن السلطان سأل يوما عن مسألة من ابن الحاجب، وكان من أجاب عنها طالب من سجلماسة فبين للسلطان المسألة، فقيل له ممن استفدتها قال من سيدي أبي عبد الله الشريف[9].

(1) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص166. ابن فرحون، المصدر السابق، مج1، ص394. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص204.

(2) ابن صعد، النجم الثاقب، ج1، ص56. التنبكتي، المصدر نفسه ، مج1، ص204. ابن مريم، المصدر نفسه ، ص65.

(3) يحي ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج1، ص123. التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص204. ابن مريم، المصدر نفسه، 65.

(4) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج1، ص120. ابن خلدون، التعريف، ص64. ابن مريم، المصدر السابق، ص164.

(5) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص136.

(6) ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص65، 66.

(7) ابن مريم، المصدر نفسه ، ص172، 173.

(8) ابن مريم، المصدر نفسه، ص166، 167، 172.

(9) ابن مريم، المصدر نفسه، ص169.

ونجد دور المدرس أبي عبد الله الشريف حاضرا في توجيه الطلبة واختصاصهم في فن معين من العلوم، كان يقرر رغبات الطلبة وقدراتهم في العلوم التي يرغبون ويميلون إليها، ينصحهم "من رزق في باب من أبواب العلم فليلازمه"[1].

من جهة أخرى أنجبت لنا المدارس عدد من الطلبة ممن كانت رغبته في التعمق في جل العلوم والمعارف امتازوا بتنوعهم العلمي، وكانت لهم مشاركة جيدة في العلوم العقلية والنقلية بالإضافة إلى علوم العربية والطب وغيرها من العلوم.

ومن خريجي المدارس خلال القرن الثامن هجري أبي عبد الله المقري نجده شخصية علمية فذة[2]، وعلى حد تعبير لسان الدين ابن الخطيب "كان مشار إليه بالعدوة المغربية اجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية وإطلاعا... كما كان يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث ويتجهر بحفظ الأخبار والتاريخ والآداب ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق ويكتب ويشعر... ويتكلم في طريقة الصوفية"[3]، ويعطينا هذا النبوغ العلمي المتنوع لدى المقري صورة واضحة عن مدى استفادته من تعدد الشيوخ والمراكز العلمية، التي استفاد منها، وعلى رأسها مدرسة أولاد الإمام والمدرسة التاشفينية التي لزم كذلك فيها درس أبي موسى عمران المشذالي[4].

---

(1) ابن مريم، المصدر السابق، ص17.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص118 وما بعدها. ابن خلدون، التعريف، ص63-64. ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص253. المقري، المصدر السابق، ج6، ص175. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص21.

(3) ابن الخطيب، المصدر نفسه، مج2، ص118-119.

(4) ابن الخطيب، المصدر نفسه، مج2، ص123.

إلى جانب المقري نجد أبا عبد الله ابن مرزوق الخطيب الذي هو الآخر خريج مدرسة أولاد الإمام والمدرسة التاشفينية واليعقوبية[1]، فكان ابن مرزوق شخصية علمية مشهورة وبارزة[2]، فإلى جانب إلمامه بالفقه والحديث[3]، نجده بارعا في الطب وكذا الرواية[4]، قال عنه ابن الخطيب "متسع الرواية مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب وشعر ويقيد ويؤلف"[5].

سبق الحديث عن العلامة أبو عبد الله الشريف التلمساني في هذا المجال[6] وعلى نفس المنوال كان ولده أبو محمد عبد الله الشريف[7] من "علية الفقهاء المدرسين بتلمسان له مشاركة في فنون التعاليم والنظر والفقه"[8]، إلى جانب هذا نجده نحويا حافظا للغة والشعر وأخبار العلماء ومذاهب الفرق[9]، كما نجد أبا يحيى عبد الرحمن الشريف له تقدم في تحقيق العلوم ومعرفتها وإتقانها[10].

ومن العلماء البارزين اللذين كانت لهم مشاركة في أغلب العلوم العقلية والنقلية، وتفوقوا على أقرانهم العلماء بنبوغهم العلمي المتنوع نجدهم بكثرة خلال القرن (9هـ/15م)، ولقد أكد القلصادي تطور التعليم بتلمسان خلال هذا القرن

---

(1) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص115. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص51. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص75. ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص294.

(2) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج1، ص115. ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص51. ابن فرحون، المصدر نفسه، ج2، ص294. التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص115. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص451. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص46.47.

(3) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص115.

(4) ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص51. التنبكتي، المصدر السابق، ص111.

(5) ابن الخطيب، المصدر السابق،، ج3، ص75.

(6) ينظر: يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج1، ص120. ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص64. ابن مريم، البستان، ص164 وما بعدها.

(7) ابن مريم، المصدر السابق، ص117.

(8) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص120-121. التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص244. ابن مريم، المصدر نفسه، ص120.

(9) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص244. ابن مريم، المصدر نفسه، ص120.

(10) التتنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص275، 276. ابن مريم، المصدر السابق، ص17-128.

بقوله "...وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المعلمين والمتعلمين رابحة..." (1) وعلى وعلى سبيل المثال أبا عبد الله ابن مرزوق الحفيد خريج المدرسة اليعقوبية والتاشفينية(2)، فبالإضافة إلى كونه "فقيها مدرسا مجتهدا"(3) و"مفتيا"(4) برز في عدة علوم جاء عنه في نيل الابتهاج "... الأصولي، المفسر، المسند، الرواية، الأستاذ، المقرئ المجود، النحوي، اللغوي، التبياني، العروضي، الصوفي، المفتي... الآخذ من المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأوفر نصيب"(5) اهتم إلى جانب هذا بالتأليف(6).

وقد عرّفنا القلصادي شخصية علمية على نفس الشاكلة هو أبو العباس أحمد ابن زاغو خريج المدرسة اليعقوبية(7) والذي تولى منصب التدريس بها فيما بعد كان من العلماء المشهورين بالتدريس والتأليف(8). كان فقيها ومفتيا على مذهب مالك(9)، وعلى حد تعير القلصادي "فاق نظرائه وإقرائه في دلائل السبل والمسالك والمسالك إلى سبق في الحديث والأصول وقدم راسخة في التصوف..." (10).

(1) القلصادي، الرحلة، ص95.

(2) ابن مريم، المصدر السابق، ص209.

(3) التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص173.

(4) القلصادي، المصدر نفسه، ص97. التنبكتي، المصدر نفسه، مج2، ص173.

(5) التنبكتي، المصدر نفسه ، مج2، ص173.

(6) عمر القرافي، توشيح الديباج، ص156. ابن مريم، المصدر نفسه ، ص210.

(7)التنبكتي، المصدر نفسه ، مج1، ص122. ابن مريم، المصدر نفسه ، ص41-42. ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص366.

(8) القلصادي، المصدر نفسه ، ص102. التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص122.

(9) القلصادي، المصدر نفسه، ص102-103. ابن القاضي، درة الحجال، ص36.

(10) القلصادي، المصدر نفسه، ص103.

2- دور المدارس في تأطير الأسر العلمية بتلمسان :

استنادا للدور العلمي الذي كلفت المدرسة بتحقيقه في المجال الثقافي بتلمسان خلال قرنين من الزمن، نجدها أحرزت نتائج قيمة على المستوى العلمي بالمجتمع الزياني، وظهرت بعض الأسر العلمية التي كان أفرادها إما أستاذة أو طلبة بالمدارس توارثوا الحفاظ على استمرارية الاشتغال بالعلم إما تحصيلا أو تأليفا، وإن كان على درجات متفاوتة، وغدت هذه الأسر العلمية من أهم الفئات الاجتماعية بتلمسان ارتقت إلى مناصب التدريس، كما دخلت هذه الأسر الجانب الوظيفي من بابه الواسع وحظيت باهتمام السلطة وهي كالتالي :

1- أسرة أولاد الإمام الشهرة العلمية والنفوذ السلطوي :

يمكن القول بأن مدرسة أولاد الإمام ساهمت إلى حد كبير في بناء المجتمع ثقافيا من خلال عدد مهم من الطلبة الذين تخرجوا منها، كما لعبت الدور الأكبر من بين جميع المدارس في تكوين عدد مهم من الطلبة عدوا من كبار العلماء على مستوى تلمسان[1]، كان لهم الدور المهم على الصعيد الثقافي والسياسي بتلمسان، فعرف بعض الطلبة حضورا قويا في بلاطات السلاطين وساهموا في البناء السياسي والإداري في معظم أجهزة الدولة[2].

عرفت هذه الأسرة الشهرة الواسعة عن طريق المدرسين إبني الإمام نظرا للمكانة العلمية التي حظي بها الفقيهان بين علماء المغرب[3] والمشرق[4]، وساهم

(1) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص266.

(2) ينظر: يحيى ابن خلدون، البغية، ج1، ص115 وما بعدها. ابن مرزوق، المسند، ص265 وما بعدها. ابن خلدون، التعريف، ص29. وما بعدها.

(3) يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص130. ابن خلدون، المصدر نفسه، ص32.

(4) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص394. التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص266. ابن مريم، المصدر نفسه، ص123.

وساهم اشتغالهم بالتدريس بمدرستهما إلى حد كبير في شهرتها[1] بالمجتمع التلمساني والمغربي ككل[2]، وبلوغهم الشهرة العلمية بالمشرق، كان بعد رحلتها إلى المشرق لزيادة التحصيل وطلب العلم[3] وذلك في حدود سنة 720هـ/1320م[4] ويعد بلوغهما درجة الاجتهاد وترك التقليد ومناظراتهما لابن تيمية في قضية النزول سببا في شهرتهما بالمشرق[5].

وكان المقرّي الجَدَّ يعتز بالانتساب إلى مشيخة الفقيهين، ولقد سبق أن نصحه أحد المغاربة أثناء وجوده ببيت المقدس قائلا له "إذا سئلت فانتسب لهما فقد سمعت منهما وأخذت عنهما ولا تظهر العدول عنهما فتضع من قدرك فإنما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما وأن لا أحد فوقهما"[6].

لقد أخذت السلطة الزيانية الوزن العلمي لأبي زيد وأبي موسى ابني الإمام بعين الاعتبار كفاءتهما العلمية، وكان أبو حمو موسى الأول أشد السلاطين اعتناءا بهما[7] فعزز وظيفتهما التعليمية بالمدرسة إلى الاشتغال في منصب الفتوى والشورى بتلمسان [8].

(1) المقري، رحلة، ص140. نفح الطيب، ج6، ص182-183. أزهار الرياض، ج5، ص15-16. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص268. ابن مريم، المصدر السابق، ص123.

(2) المقري، المصدر نفسه، ج6، ص171. أزهار الرياض،، ج5، ص12. الرحلة، ص140.

(3) ابن خلدون، التعريف، ص 29. وما بعدها. العبر، ج7، ص118. التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص268.

(4) المقري، المصدر السابق، ج6، ص182. أزهار الرياض، ج5، ص15. التنبكتي، المصدر نفسه، مج 1، ص267. ابن مريم، المصدر السابق، ص123.

(5) القرافي، توشيح الديباج، ص129. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص267. محمد مخلوف، شجرة النور، ج1، ص315.

(6) المقري، المصدر السابق، ج6، ص183. أزهار الرياض، ج5، ص16-17. التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص267. ابن مريم، المصدر السابق، ص124.

(7) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص130. المقري، المصدر نفسه، ج6، ص181. أزهار الرياض، ج5، ص14. التنسي، نظم الدر، ص139. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص268.

(8) ابن خلدون، العبر، ج7، ص118.

لقد سبق وأن تفطن بنو مرين لكفاءتهما العلمية ومنحوهما خطة القضاء بمليانة[1] أثناء استقرارهم المؤقت بها بعد امتناع دخولهما تلمسان بسبب حصار أبي يعقوب المريني[2]، وما أن عاد الحكم الزياني لتلمسان حتى ازدادت مكانة ابني الإمام بالمجتمع التلمساني، كما زادت حظوتهما عند السلطان أبي الحسن المريني وصارا من أهم الفقهاء بمجلسه[3]، وشاركا معه في حملاته الجهادية بالأندلس وحضرا معه موقعة طريف بالأندلس سنة 741هـ/1340م[4]، وتوفي أبو زيد على إثرها في رمضان 743هـ/1742م[5]، أما أبو موسى فقد صحب أبا الحسن في واقعة القيروان بإفريقية سنة 749هـ/1340م، فزادت مرتبة أبي موسى عند أبي الحسن[6].

أما على المستوى التعليمي فلقد حافظ أبناء وأحفاد ابني الإمام على بقاء الصفة العلمية للأسرة[7]، حتى عهد ابن خلدون فذكر الأسرة بقوله وبقي أعقابهما بتلمسان دارجين في مسالك تلك الكرامة ومتوقلين قللها طبقا عن طبق إلى هذا العهد"[8].

ويعد الفقيه الحافظ أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الإمام أحد طلبة المدرسة القديمة (ت797هـ/1394م) [9]، كان فقيها حافظا له مشاركة في عدة

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص118.

(2) ابن خلدون، التعريف، ص30.

(3)ابن مرزوق، المسند، ص265-266. ابن خلدون، المصدر نفسه، ص31-32. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص267. المقري، المصدر السابق، ج6، ص181. أزهار الرياض، ج5، ص14.

(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص32. المقري، المصدر نفسه، ج6، ص181. أزهار الرياض، ج5، ص14.

(5) الونشريسي، الوفيات، ص112. ابن قاضي، لقط الفرائد، ص195.

(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص32. المقري، المصدر نفسه، ج6، ص181. أزهار الرياض، ج5، ص14.

(7) يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130. ابن خلدون، المصدر السابق، ص32. التنبكتي، المصدر السابق، مج 2، ص198.

(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص32. العبر، ج7، ص118.

(9) استقر وتوفي بفاس، ودفن عند باب الجيزين، ينظر الونشريسي، المصدر السابق، ص133. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم1، ص97.

علوم[1] وله فتاوى في الفقه المالكي[2] ونقل عنه المازوني والونشريسي في نوزالهما[3].

أما ولده محمد أبو الفضل ابن الإمام (ت 845هـ/1441م) [4] فقد بقي مستقرا بتلمسان واشتغل بالتدريس[5] وكانت له مشاركة جيدة في العلوم العقلية والنقلية بالإضافة إلى التصوف والأدب والشعر والطب، وله عدة أبحاث مفيدة في التفسير[6].

اشتهر برحلته، واستطاع من خلالها إدخال مجموعة من التآليف إلى المغرب، منها شامل بهرام، وشرح المختصر له، وحواشي التفتازاني على العضد، وابن هلال على ابن الحاجب الفرعي[7].

---

(1) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص41. ابن القاضي، المصدر نفسه، القسم 1، ص97. ابن مريم، المصدر السابق، ص63-64.

(2) ابن القاضي، المصدر نفسه، القسم 1، ص97.

(3) التنبكتي، المصدر نفسه ، مج1، ص41. كفاية المحتاج، ج1، ص95-96. ابن مريم، المصدر نفسه ، ص64.

(4) الونشريسي، المصدر السابق، ص250. ابن القاضي، المصدر السابق، ص142. درة الحجال، ص276.

(5) القلصادي، الرحلة، ص108. الرصاع، الفهرست، ص31.

(6) التنبكتي، المصدر نفسه ، مج2، ص199. كفاية المحتاج، ج1، ص120-121. ابن مريم، المصدر نفسه ، ص221. محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص366.

(7) التنبكتي، المصدر نفسه ، مج2، ص199. كفاية المحتاج، ج1، ص121. ابن مريم، المصدر نفسه، ص221. محمد مخلوف، المصدر نفسه، ج1، ص367.

2- أسرة الشريف التلمساني النبوغ العلمي والإقراء المتميز :

لقد ارتبط اسم هذه الأسرة بتاريخ المدرسة اليعقوبية خلال القرن الثامن والتاسع هجري، كما سبق وأن ذكرنا فإن حرص السلطة على بقاء التعليم بالمدرسة تحت إشراف هذه الأسرة كان من باب الاهتمام بها لما تملكه من مكانة علمية ونسبها الشريف(1)، بالإضافة إلى التكوين العلمي المتميز الذي برز به أبو عبد الله الشريف وولديه في الوسط العلمي التلمساني، فقد قال الفقيه صالح أبو يحيى المطغري "حضرت مجالس العلماء شرقا وغربا فما رأيت ولا سمعت مثل أبي عبد الله الشريف وولديه"(2).

إن النبوغ العلمي الذي تميزت به أسرة الشريف(3) يعود بالدرجة الأولى إلى تركيزهم على تعدد منابع العلم بالتزامهم أكبر قدر من العلماء مع الاجتهاد في التحصيل.

ساهم التعليم المزدوج لأبي عبد الله الشريف بالمدرسة القديمة والتاشفينية إلى حد كبير في تحصيله للعلوم العقلية والنقلية(4)، وكذلك كان ابنه عبد الله الذي أخذ على تسع شيوخ عدوا من كبار العلماء بالمغرب(5)، ثم انتقل إلى ملازمة درس والده هذا الأخير الذي ركز في تعليمه لولديه عبد الله وعبد الرحمن على تنوع العلوم(6)، وبعد وفاة الأب لزم عبد الرحمن مجلس أخيه باليعقوبية واجتهد في لزوم مجالس العلماء حتى ارتفع قدره بين أقرانه من العلماء وتعجب منه أهل

---

(1) ابن خلدون، التعريف، ص64. ابن مريم، البستان، ص164. محمد مخلوف، المصدر نفسه، ج1، ص337.

(2) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص276. ابن مريم، المصدر السابق، ص127.

(3) يحي ابن خلدون، البغية، ج1، ص120-121. ابن خلدون، المصدر نفسه، ص65. التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص276-277، ص242-243. ابن مريم، المصدر السابق، ص117-118-126-127. ابن القاضي، درة الحجال، ص333.

(4) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص120. ابن خلدون، المصدر السابق، ص64-65. ابن مريم، المصدر السابق، ص164-165. محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص337-379.

(5) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص242-243. ابن مريم، المصدر السابق، ص18.

(6) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص276. ابن مريم، المصدر السابق، ص168. محمد مخلوف، المصدر نفسه، ج1، ص337.

العلم، مما دفع أخوه عبدُ الله إلى ترشيحه للتدريس مكانه لما تعذر عليه التدريس بسب المرض سنة 884هـ[1]. وبلغ بذلك "الغاية في المعارف الإلاهية"[2] و"أدرك خبايا العلوم ورسم فليها كثيرا"[3].

كان اهتمام أبي عبد الله الشريف وولديه بالإقراء والتدريس أكثر[4] من التأليف[5]، حيث اعتمد أبو عبد الله في سلك التدريس على "نهج السلف مائلا للنظر والحجة"[6]، وكان مجلسه "مجلس عظيم هائل يحضره أكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة" [7]، وملأ المغرب معارف وتلاميذ[8] واشتهر واشتهر حتى صارت تشدّ إليه الرحلة[9]، وأخذ عنه كثير من الطلبة عدد منهم كان من الوافدين على تلمسان[10]. أما ولده عبد الله فقد جرى على نهج أبيه في التدريس "نظرا ونقلا وتحقيقا واستبصارا فكان يحضر مجلسه أكابر الفقهاء"، واعترف من كان يحضر مجلس والده بتقديمه[11]. ومما تميز به أبو يحيى عبد الرحمن "تحقيق العلوم والإتقان لها ومعرفتها"[12].

(1) التنبكتي، المصدر السابق، مج 1، ص276. ابن مريم، المصدر اسابق، ص127. محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص362.

(2) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص276. ابن مريم، المصدر نفسه، ص127.

(3) ابن مريم، المصدر نفسه، ص127. ابن القاضي، المصدر السابق، ص333.

(4) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121. ابن خلدون، المصدر السابق، ص65. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص242-276.

(5) مؤلفات أبو عبد الله الشريف من مفتاح الوصول الذي سبق ذكره وتلخيص لجمل الخونجي، أما ولده عبد الله فلم يترك مؤلفات. أما عبد الرحمن نجد له كتابة في سورة الفتح، ينظر: التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص275-276. ابن مريم، المصدر السابق، ص128-166. محمد مخلوف، المصدر نفسه، ج1، ص362.

(6) ابن مريم، المصدر نفسه، ص168.

(7) ابن مريم، المصدر نفسه، ص167-168.

(8) ابن خلدون، المصدر السابق، ص65.

(9) ابن مريم، المصدر السابق، ص172.

(10) ابن مريم، المصدر نفسه، ص116.

(11) التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص243. ابن مريم، المصدر السابق، ص118.

(12) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص275. ابن مريم، المصدر نفسه، ص167.

3- أسرة العقباني اختصاصهم بالفقه أورثهم منصب القضاء :

في 11 من شعبان سنة 766هـ/1364م عمد السلطان أبو حمو موسى الثاني إلى اختيار الفقيه أبي عثمان سعيد العقباني لمنصب قضاء الحضرة بتلمسان(1)، كان اختيار السلطان لأبي عثمان سبب المكانة العلمية التي بلغها في الفقه المالكي(2)، مع العلم أن أبا عثمان خريج مدرسة أولاد الإمام(3).

إن إختيار السلطة على بقاء منصب القضاء في أسرة العقباني لفترة زمنية طويلة تعاقب فيها خمسة قضاة عقبانين بعد أبي عثمان كان وراء هذا استببصارهم بعلم الفقه ومزاولة الفتوى(4) لأنها تسهل مسالك القضاء على من لا سلف له(5) فيكتسب القاضي من خلالها الخبرة العلمية والمهارة في الكشف والفصل في قضايا الناس.

لقد زاول أبو عثمان سعيد (ت 720هـ/1320م) مهنة القضاء لمدة أربعين سنة ولأن "صدارته في العلم كانت مشهورة بتلمسان وخارجها"(6)، منحته السلطة إلى جانب القضاء منصب التدريس في المدرسة التاشفينية.

(1) ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص166.

(2) المازوني، الدرر المكنونة، ج1، 137، 138، ج2، و263ظ، و287ظ، و317ظ. ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص166. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص394. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص204.

(3) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص204. ابن فرحون، المصدر نفسه، ج1، ص394. ابن مريم، المصدر السابق، ص106.

(4) ابن فرحون، المصدر نفسه، ج1، ص394. التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص204. مج2، ص12، 13. ابن مريم، المصدر السابق، ص106.

(5) محمد العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر، ص85.

(6) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص204. ابن مريم، المصدر السابق، ص65.

وأضاف يحيى ابن خلدون "وهو الآن خطيب الجامع الأعظم بتلمسان"(1)، وكان ولده قاسم العقباني (ت 854هـ/1450م) (2) في أحد طلبته بالتاشفينية(3) إلا أنه تفوق على والده في اختصاصه بالفقه فلقد بلغ قاسم العقباني درجة الاجتهاد في الفقه المالكي، وله اختيارات خارجة عن المذهب قال عنه طالبه ابن عباس مفتي الأمة وعلامة المحققين (4).

اشتغل أبو الفضل قاسم العقباني بالتدريس إلى جانب القضاء، ولا نؤكد اشتغاله للتدريس باليعقوبية، إذ اكتفى القلصادي بأنه لزم مجلسه(5) بعد وفاة شيخه ابن زاغو إلى أن ارتحل من تلمسان(6)، ولم يحدد القلصادي ذكر المكان -المسجد أو المدرسة- الذي لزم فيه شيخه للإقراء.

ومن جملة من قرأ على قاسم العقباني ولده القاضي تلمسان أحمد (840هـ/1436م)(7) وكذلك ولده إبراهيم (ت880هـ/1475م)(8) الذي أخذ كذلك كذلك عن علماء تلمسان، فاجتهد في التحصيل وبرع وألف(9)، اشتهر بالفقه والافتاء ونقل عنه المازوني في نوازله، وكذلك الونشريسي في كتبه(10)، وذكر عنه في تعليقه على ابن الحاجب، تولى قضاء الجماعة بتلمسان بعد عزل ابن أخيه محمد بن أحمد بن قاسم العقباني (ت840هـ/1436م)(11)، هذا الأخير الذي

(1) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص123.
(2) الونشريسي، الوفيات، ص144. ابن القاضي، لقط الفرائد، ص253.
(3) التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص12-13. ابن مريم، المصدر السابق، ص65.
(4) القرافي، توشيح الديباج، ص152-153. التنبكتي، المصدر نفسه، مج2، ص12-13. ابن مريم، المصدر نفسه، ص174. وجاءت فتاويه متفرقة في الدرر المكنونة، ينظر المازوني، المصدر السابق، ج1، وج2.
(5) القلصادي، المصدر السابق، ص106.
(6) القلصادي، الصدر نفسه، ص107.
(7) التنبكتي، المصدر نفسه ، مج1، ص57. ابن القاضي، المصدر نفسه، ص248.
(8) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص121. ابن مريم، المصدر نفسه، ص51.
(9) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص56. ابن مريم، المصدر نفسه، ص57.
(10) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص56. ابن مريم، المصدر نفسه، ص58.
(11) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص56، 57. ابن مريم، المصدر نفسه، ص57.

اشتغل بالتدريس[1] "كان علامة فقيها عارفا بالنوازل، كما كانت له ملكة في التصوف"[2] تتلمذ على جده المدرس قاسم العقباني[3] كما تولى قضاء الجماعة بتلمسان الفقيه عبد الواحد بن أحمد بن قاسم العقباني (ت 869هـ/1464م)[4] إلا أننا لا نؤكد تخرج هؤلاء القضاء الأربعة من المدرسة أو اشتغالهم بها، بل ذكرناهم لمكانتهم العلمية في الفقه، ودور الأسرة في المجتمع التلمساني.

(1) ابن مريم، المصدر نفسه، ص55.
(2) التنبكتي، المصدر نفسه، مج2، ص232.
(3) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص232.
(4) التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص322.

الخـــاتمة

الخاتمة :

نستخلص مما سبق ذكره في موضوع المدارس التعليمية بتلمسان إلى جملة من النتائج أهمها دور السلطة الزيانية في تأسيس القاعدة العلمية بتلمسان عن طريق إنشاءها للمدارس، وجعلت من المدرسة مؤسسة حكومية تابعة للسلطة تخضع في ترتيب قوانينها الإدارية لإشراف السلطة.

جاء مشروع إنشاء المدارس من باب عناية السلاطين الزيانيين بالمشروع التعليمي ليساهموا من خلالها في بناء حاضرة عمرانيا وقد حاولت السلطة الزيانية احتواء النخبة المثقفة في المجتمع من المدرسين والطلبة وأكدت حضورهم العلمي في بلاطها.

من جهة أخرى حاولت السلطة المرينية الاستفادة من المنافسة المغربية التي كانت قائمة بين دول المغرب الإسلامي إلى إنشاء مدرستين -العباد وسيدي الحلوي- محاولة بذلك التقرب من المجتمع التلمساني، فعملت على دمج الجانب الديني بالتعليمي، وأضافت إلى إنشاء المدارس المساجد والزوايا بالقرب من أضرحة الصوفية كما نافست السلطة الزيانية بضم أكبر عدد من علماء وطلبة المدارس إلى مجالسها العلمية ومنحهم الوظائف الهامة في الدولة.

وتقليدا لما كان معمول به في المدارس المشرقية سخرت السلطة نظام الأوقاف ليكون المورد المالي الرئيسي للمدارس، والذي حددت من خلاله السلطة مرتبات المدرسين والموظفين وكذا منح وجرايات الطلبة.

اهتمت السلطة الزيانية والمرينية بالنظام الداخلي لمدارسها الست وخصصت للطلبة الإقامة المجانية وحفزتهم للإقبال على طلب العلم، ووفرت لهم بذلك كل المرافق والوسائل للتحصيل العلمي فهيأت المرافق داخل المدرسة ووضعت شروطا للالتحاق بالمدارس جعلتها كشروط أساسية في نص الحبس الخاص بالمدرسة، فكانت الضوابط الإدارية المتعلقة بنظام المدارس خاضعة لنظام الأحباس.

ولقد أخذت السلطة الزيانية قضية تنصيب المدرسين بمدارسها بنوع من الاهتمام على عكس السلطة المرينية التي لم تترك لنا أثرا عن علماء وطلبة مدرسة العباد ومدرسة سيدي الحلوي، في حين نجد السلطة الزيانية أخذت بعين الاعتبار المعايير العلمية التي تؤهل المدرسين لمنصب التدريس، إضافة إلى مكانة المدرس وسط المجتمع التلمساني وشهرته العلمية داخل تلمسان وخارجها، ودور المدرس داخل البلاط السلطوي الزياني أو المريني.

ولقد أحرزت المدارس في الجانب التعليمي عدة نتائج أهمها الطرق والأساليب التعليمية الجديدة التي لم يعرفها التعليم بتلمسان إلا عن طريق المدارس، والمتمثلة في طريقة الحوار والمناقشة، والتي جاءت عن طريق الفقيهين ابني الإمام والفقيه أبي موسى عمران المشذالي، واعتمدت للتعليم بالمدارس وبجميع المراكز التعليمية.

وقد أضاف علماء المدارس بعض مؤلفاتهم كمقررات دراسية بالمدارس وصارت متداولة للتعليم بتلمسان كمؤلفات أبي عبد الله الشريف التلمساني في الأصول والمنطق، ومؤلفات ابن زاغو في التفسير ومن جهة أخرى اكتشف المدرس أبو عثمان سعيد العقباني طريقة جديدة في حساب الفرائض بطريقتي التصحيح والكسور.

أما على المستوى الاجتماعي فقد ساهمت المدارس في تكوين وإبراز بعض الأسر العلمية بتلمسان، كان لها الدور المهم في استمرارية التعليم بالحاضرة كأسرة أولاد الإمام، وأسرة الشريف التلمساني وأسرة العقباني هذه الأسر التي توارثت التعليم، واشتغلت معظم أفرادها في المدارس كمدرسين أو طلبة ساهموا في البنية الاجتماعية بتلمسان.

وإن المدرسة ومن خلال تعليمها المتنوع ما بين العلوم العقلية والنقلية فقد أدت إلى تكوين طلبتها علميا، فنجد معظم طلبة القرن الثامن الهجري كان اختصاصهم بالفقه، هذا الأخير الذي يؤهلهم للاشتغال بالوظائف الإدارية

والتعليمية، وهناك العديد من الطلبة اختصوا بالعلوم العقلية، ومن جهة أخرى أنجبت المدارس العديد من الطلبة امتازوا بتنوعهم العلمي وكانت لهم مشاركة في العديد من فنون العلم.

ومقارنة بالمدارس الزيانية والمدارس المرينية بتلمسان، نلاحظ تفوق المدارس الزيانية في الجانب العلمي من حيث عدد الطلبة والمدرسين الذين أكدوا حضورهم العلمي بالوسط الثقافي في الحاضرة، وساهموا في شهرة المدارس حتى صارت تشد إليها الرحال.

الملاحــــــق

الملحق رقم : 1

نص الوقف الخاص بالمدرسة اليعقوبية :

ونص الوقف هو كالتالي :

"أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أبو حمو ابن مولانا الأمير أبي يعقوب ابن الأمير أبي زيد ابن مولانا الأمير أبي زكرياء ابن مولانا أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان وصلى الله مفاخره وخلد آثاره الكريمة ومآثره على هذه الزاوية المباركة المقامة على ضريح والد المذكور برد الله ضريحه".

الملحق رقم 2

نص وقف مدرسة العباد– أبي مدين :

النص الكامل لأوقاف مدرسة العباد موجود داخل مسجد سيدي بومدين وهو مكتوب على لوح رخامي أبيض، عليه كتاب بالخط الأندلسي المغربي يشير إلى تأسيس الجامع والمدرسة ويذكر الأملاك المحبوسة لكليهما بالتفصيل، وارتفاع هذا اللوح 1,42م، وعرضه 0,65م، ويحتوي على 36 سطر[1]، وهي كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدينا محمد وعلى آله وسلم تسليما الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، أمر ببناء هذا الجامع المبارك مع المدرسة المتصلة بغربيه مولانا السلطان الأعدل أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق أيد الله أمره وخلد بالعمل الصالح ذكره، وحبّس المدرسة المذكورة على طلبة العلم الشريف وتدريسه، وحبّس على الجامع المذكور والمدرسة المذكورة من الجانب العلي نفعهم الله بذلك جميع الجنان القصير وجميع الذي بالعباد الفوقي المشتري من ولدي عبد الواحد القصير، وجميع جنان العلوج المشتري من علي بن المراني وجميع الجنان المعروف بابن حويته الكاين بزواغة المشتري من ورثة الحاج محمد بن حويته، وجميع الجنان الكبير والدار المتصلة من جهة غربيه المعروف ذلك باسم داود بن علي المشتري من ورثته، وهو بأسفل غربيه العباد السفلي، وجميع الرقعتين الموروثين أيضا عنه، واشترينا من ولده علي وتعزو إحداهما بابن أبي إسحاق والثانية بابن الصلاة المغروس منها وغير المغروس وجميع الجنان المعروف بجنان باديسي الموروث أيضا عنه المشتري من يحي بن داود المذكور وهو بأسفل العباد السفلي، وجميع الجنان المسمى بن فرعوش القريب من جنان الباديسي المذكور الموروثين عنه أيضا واشترى من ولديه عبد الواحد وعيسى وجميع

(1) العربي لقريز، مدارس أبي الحسن المريني، ص133.

غروسا لأربعة أن الفوقي منها يعرف بابن مكية والثاني بمحمد بن السراج والثالث بفج المدلسي والرابع بابن الفدا قيصن، وهي التي ورثت أيضا عنه واشتريت من جميع ورثته، وجميع دارية التين بجوفي مسجد العباد السفلي المشترات أيضا منهم والنصبي الواحد من جنان الزهري مع جميع بيتي الأرض المبني بغربه وذلك بجهة الوريط وجميع بيتي الأرض المبنى بقلعة بني معلى خارج باب كشوط المذكورة بجهة باب الحديد مع حانوتية متصلة به على يمين الخارج من باب القبلي، ودويرته المتصلة به من جهة جوفه ومعصرته المحملة على أسطوانة، والنصف الواحد الحمام القديم الذي يداخل مدينة المنصورة حرسها الله، ومحزن عشرين زوجا من زيدور من قطر تلمسان المذكورة برسم إطعام الطعام بزاوية العباد عمرها الله للفقراء والحجاج المقيمين والواردين عليها وأثره عشرة أزواج بالموقع المذكور برسم ساكنين المدرسة المذكورة بحساب خمسة عشر صاعا للطالب الواحد في كل شهر، وجميع جنان سعيد ابن الكماد المشتري من ورثته وهو الكائن فوق العباد العلوي وتحت ساقية النصراني وجميع جنان القايد مهدي المشتري من ورثته الكاين بزواغ المحروسة وجميع جنان ورثة التفريسي الكاين تحت الطريق المارين عليها للوريط المشتري من ورثته وجميع أرض جنان ورثته التفريسي المذكور الكاين غربي الزاوية المشتراة منهم، وبقية الرجال المتصلة بالجامع المذكور الباقية من الجنان المريد بعضه في الجامع المشتري من ورثة محمد بن عبد الواحد ومن ورثة أبيه وأمه وعمتهم ميمونة ولم يتبث لورثتهم حق ولا مطلب.

مدرسو وطلبة مدرسة أولاد الإمام

المدرس	الطالب	المصادر
- أبو زيد عبد الرحمن (ت741هـ) - أبو موسى عيسى (ت751هـ)	أبو إسحاق السلوي (ت737هـ)	-المقري- نفح الطيب، ج6، ص184 -أزهار الرياض، ج5، ص20
	أبو العباس أحمد ابن مرزوق (ت741هـ)	-يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص115. -ابن مريم، البستان، ص26.
	أبو عبد الله ابن عبد انور (ت750هـ)	-ابن خلدون، التعريف، ص47 -ابن مرزوق، المسند، ص267.
	أبو محمد بن عبد الحق بن سعيد المكناسي (كان حيا سنة 761هـ)	-التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص311.
	أبو الحسن علي ابن عبد النور التلمساني (ت765/764هـ)	-ابن مرزوق، المسند، ص267. -ابن خلدون، المصدر السابق، ص47.
	أبو عبد الله إبراهيم الآبلي (توفي 757هـ)	-ابن خلدون، المصدر السابق ، ص22، 36. -ابن مرزوق، المصدر السابق ، ص266. -المقري، المصدر السابق ، ج6، ص202. -القرافي، توشيح الديباج، ص231.
	أبو محمد عبد الله المقري (ت758هـ)	-ابن خلدون، المصدر السابق ص62. -المقري، أزهار الرياض، ج5، ص14. -نفح الطيب، ج6، ص181. -التنبكتي، المصدر السابق ، ص269. -ابن مريم، البستان، ص155-156.
	أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ)	- يحيى ابن خلدون، البغية، ج1، ص120. - ابن خلدون، المصدر السابق ، ص64. -ابن مريم، المصدر السابق ، ص126، 164.
	ابن مرزوق، الخطيب، (ت781هـ)	- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص115. - ابن خلدون، المصدر السابق ، ص51. - ابن مريم، المصدر السابق ، ص184.
	أبو العباس أحمد بن سعيد المديوني (ت768هـ)	- ابن مرزوق، المسند، ص267. - التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص103

	أبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق ، مج1، ص269. - ابن مريم، المصدر السابق ، ص106.
	أبو عبد الله اليحصبي	- التنبكتي، المصدر السابق ، مج1، ص269.
	أبو إسحاق إبراهيم السلوي (ت737هـ)	- المقري، المصدر السابق ، ج6، ص183-184.

مدرسو وطلبة المدرسة التاشفنية

المدرس	الطالب	المصادر
- أبو موسى عمران المشذالي (ت745هـ)	أبو عبد الله محمد المقري (ت758هـ)	- ابن خلدون، المصدر السابق، ص62. - المقري، المصدر السابق، ج6، ص187. - أزهار الرياض، ص30. - التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص396. - ابن مريم، المصدر السابق، ص156.
	أبو عبد الله السلوي (ت737هـ)	- ابن خلدون، التعريف، ص62.
	أبو العباس بن المشوش (ت ما بين 469-777هـ)	- يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص130.
	أبو البركات الباروني (783هـ)	- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130.
- أبو عثمان سعيد بن محمد العقياني (ت811هـ)	محمد بن مرزوق الكفيف (ت901هـ)	- ابن مريم، المصدر السابق، ص250.
	أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني (ت854هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج 1، ص12-204. - ابن مريم، المصدر السابق، ص147.
	محمد بن ابن مرزوق الحقيد (ت842هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص209-209. - ابن مريم، المصدر السابق، ص106.
	إبراهيم المصمودي (ت804هـ أو 805هـ)	- ابن صعد، النجم الثاقب، ج1، ص96. - التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص204. - ابن مريم، المصدر السابق، ص65-106.
	أبو الفضل ابن الإمام (ت 845هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص204. - ابن مريم، المصدر السابق، ص106.
	أبو يحيى عبد الرحمن الشريف التلمساني (ت826هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص204. مج2، ص276. - ابن مريم، المصدر السابق، ص106.

	أبو العباس أحمد بن زاغو (ت 845هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص122، 204. - ابن مريم، المصدر السابق، ص107.
	محمد بن عقاب الجذامي	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص204. - ابن مريم، المصدر السابق، ص107.
	الحسن بن مخلوف أبركان (ت857هـ)	- ابن مريم، المصدر السابق، ص76.

مدرس وطلبة مدرسة العباد

المدرس	الطالب	المصادر
- أبو عبد الله محمد بن العباس (ت 871هـ)	يحيى بن أبي عمران المازوني (ت883هـ)	- التنبكتي، نيل الابتهاج، مج2، ص231-232-340. - ابن مريم، البستان، ص223.
	محمد بن يوسف بن عمر السنوسي (ت 895هـ)	- أبو جعفر البلوي، الثبت، ص439. - التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص232. - ابن مريم، المصدر السابق، ص223-240.
	محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت 899هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص232-260. - ابن مريم، المصدر السابق، ص223.
	أحمد بن محمد بن زكري (ت900هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص136، مج2، ص232. - ابن مريم، المصدر السابق، ص39-223.
	محمد بن أحمد بن صعد التلمساني (ت 901هـ)	- أجعفر البلوي، الثبت، ص415. - التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص204. مج 2، ص232، 233. - ابن مريم، المصدر السابق، ص252.
	الكفيف ابن مرزوق (ت901هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص231، مج2، ص262.
	أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت914هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص232. -ابن مريم، المصدر السابق، ص53-223.
	محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق حفيد الحفيد (كان حيا سنة 918هـ)	- أبو جعفر البلوي، المصدر السابق، ص448. - التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص204. مج2، ص231-232. - ابن مريم، المصدر السابق، ص258.
	محمد بن أحمد المكناسي ابن غازي (ت919هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص231. - ابن مريم، المصدر السابق، ص223.

مدرسو وطلبة المدرسة اليعقوبية

المدرس	الطالب	المصادر
أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ)	عبد الله بن محمد الشريف (ت 792هـ)	- التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص242. - ابن مريم، البستان، ص166.
	أبو إسحاق إبراهيم المصمودي (ت805)	- ابن صعد، النجم الثاقب، ج1، ص96. - ابن مريم، المصدر السابق، ص166.
	محمد بن أبي البركات ابن السكاك (ت818هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص150. - ابن مريم، المصدر السابق، ص166.
	أبو يحيى عبد الرحمن الشريف (ت826هـ)	- ابن مريم، المصدر السابق، ص128.
	محمد بن علي المديوني (ت856هـ)	- ابن مريم، المصدر السابق، ص128.
	محمد بن يوسف الثغري	- التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص152. - ابن مريم، المصدر السابق، ص166.
	أبو يحى المطغري	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص276. - ابن مريم، المصدر السابق، ص176.
عبد الله أبو محمد الشريف التلمساني (ت 792هـ)	أبو يحيى عبد الرحمن الشريف (ت826هـ)	- ابن مريم، المصدر السابق، ص128.
	أبو الفضل ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص244. مج2، ص179. - ابن مريم، المصدر السابق، ص120.
	أبو العباس أحمد بن موسى البجائي	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص243. - ابن مريم، المصدر السابق، ص119-120.
	أبو الحسن المغربي	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص243.
أبو العباس أحمد بن زاغو التلمساني (ت845هـ)	يحيى ابن أبي عمران المازوي (ت883هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص122، مج2، ص340. - ابن مريم، المصدر السابق، ص42.
	أبو الحسن علي بن محمد القلصادي (ت891هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص122. - أبو جعفر البلوي، المصدر السابق، ص105. - القلصادي، الرحلة، ص103-104.

		ابن مريم، المصدر السابق، ص42. .142
	أبو عبد الله التنسي (ت 899هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص122
	أحمد بن محمد بن زكري (ت900هـ)	- أبو جعفر البلوي، المصدر السابق، ص426. - التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص122. - ابن مريم، المصدر السابق، ص39.
	يحيى بن يدير	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص122
أبو عبد الله التنسي (ت 899هـ)	أحمد بن أحمد الشهير برزوق الفاسي (ت899هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص139. - ابن مريم، المصدر السابق، ص 46.
	محمد بن أحمد بن صعد التلمساني (ت 901هـ)	- أبو جعفر البلوي، المصدر السابق، ص415. - التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص261-263. - ابن مريم، المصدر السابق، ص252.
	محمد بن أحمد بن مرزوق حفيد الحفيد (كان حيا سنة 918هـ)	- أبو جعفر البلوي، المصدر السابق، ص448. - التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص261. - ابن مريم، المصدر السابق، ص258.
	أبو عبد الله محمد بن الإمام بن العباس التلمساني المشهور بأبي عبد الله (كان حيا في حدود 920هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص261. - ابن مريم، المصدر السابق، ص259.
	أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (ت 938هـ)	- أبو جعفر البلوي، المصدر السابق، ص319-320.
	أحمد بن محمد بن مرزوق (ولد الكفيف)	- ابن مريم، المصدر السابق، ص52.
	عبد الله بن الجلال	- التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص261. - ابن مريم، المصدر السابق، ص249.
	بلقاسم الزواوي	- التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص261. - ابن مريم، المصدر السابق، ص249.

مدرس وطلبة مدرسة الحسن بن مخلوف أبركان

المدرس	الطالب	المصادر
- أبو عبد الله محمد بن العباس (ت 871هـ)	محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ)	- أبو جعفر البلوي، الثبت، ص439. - التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص174. - ابن مريم، البستان، ص74.
	محمد بن علي التالوتي (ت895هـ)	- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص174. - ابن مريم، المصدر السابق، ص74.
	أبو عبد الله محمد التنسي (899هـ)	- ابن صعد، روضة النسرين، ص127. - التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص174. - ابن مريم، المصدر السابق، ص74.
	نصر الزواوي	- ابن مريم، المصدر السابق، ص82-83.
	عبد الله المستيري	- ابن مريم، المصدر السابق، ص81-82.

قائمة المصادر والمراجع



قـــائـــمـــة المصادر والمـــراجـــع

– المصادر المخطوطة

1– أبو زكريا (يحيى بن أبي عمران المازوني)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، المكتبة الوطنية، دائرة الحفظ والمخطوطات، مصلحة التصوير، رقم المخطوط: 1335.

– المصادر المطبوعة:

2– ابن أبي الضيّاف (احمد ت 1291هـ)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1376هـ/1976م، ج1.

3– ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي ت 726هـ)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1972.

4– ------------، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، د.ت.

5– ابن الأزرق (أبو عبد الله محمد الاندلس، ت896هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، دراسة و تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، د.ط، د.ت، ج2.

6- ابن الخطيب، (أبو عبد الله محمد بن سعيد أحمد السلماني الشهير بلسان الدين ت 776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرحه وضبطه، وقدم له يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ/2004م.

7- ---------، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، دراسة وتحقيق السعدية فاغية، عالم الفكر، الرباط، الطبعة الأولى 1409هـ/1989م، ج3.

8- ابن السراج (محمد بن محمد الاندلسي)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1970، ج1.

9- ابن الشماع، (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، الأدلة البينة النوارنية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ط، 1984.

10- ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ت1025هـ)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، د.ت، القسم الأول.

11- ----------، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، د.ط، 1396هـ/1976م.

12- ------------، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م.

13- النميري، (ابن الحاج إبراهيم بن عبد الله بن محمد ت ما بعد 774هـ)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م

14- ابن جبير الكناني (محمد بن أحمد)، رحلة ابن جبير وهي الرسالة المعروفة تحت اسم اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2002م.

15- ابن جماعة الكناني (بدر الدين بن أبي اسحاق إبراهيم ابن السيد أبي الفضل سعد الله ت 733هـ) تذكرة السامع، والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق وتعليق: محمد هاشم الندوي، رمادي للنشر، الرياض، الطبعة الثانية 1416هـ/1995م.

16- ابن خلدون، (أبو زكريا يحيى بن محمد ت:780هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 1400هـ/1980م، ج1.

17- ----------، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشره: ألفردبل، مطبعة فونطانة الأخوين وشركائهما الشرقية، الجزائر، د.ط، 138هـ/1910م، ج2.

18- ابن خلدون، (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، ت808هـ/1405م)، المقدمة، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م

19- --------، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1979.

20- --------، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، (1413هـ/1992م)، ج 7.

21- ابن خلكان، (أبو العباس شمس الدين، ت 681هـ/1283)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: (إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مج 2.

22- ابن شكوال، (أبو القاسم خلف بن أحمد)، كتاب الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ/1989م، ج 1.

23- ابن صعد (محمد الأنصاري ت901هـ)، روضة النسرين في التعريف بالأئمة الأربعة المتأخرين، تحقيق يحيى بوعزيز، منشور ANEP الجزائر، الطبعة الأولى، 2002.

24- ------------، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، دراسة وتحقيق بلحاج محمد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007-2008، ج1.

25- ابن فرحون، (إبراهيم بن نور الدين ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت، ج1، ج2.

26- ابن قنفذ، (أبو العباس أحمد القسنطيني ت 810هـ)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1968.

27- ---------، شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، د.ط، 1396هـ/1976م.

28- ابن مرزوق، (أبو عبد الله محمد الخطيب ت781هـ)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1401هـ/1981م.

29- ---------، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م).

30- ابن مريم، (أبو عبد الله محمد المديوني كان حيا 1014هـ)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت.

31- ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، مج2.

32- أبو حمو العبد الوادي (ت 791هـ)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، د.ط، 1279م.

33- أبو راس (الناصري)، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق محمد بوركبة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007-2008.

34- التنبكتي، (أحمد بابا ت 1032هـ)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الاولى 1423هـ/2004م، ج1، ج2.

35- ---------، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ/2004م، مح1، مج2.

36- التنسي، (محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ ت899هـ)، نظم الدر والعقيان في بيان شرق بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بوعياد، المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 1405هـ/1985م.

37- الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد

القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ج16.
38- حاجي خليفة (محمد بن عبد الله) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1419هـ-1999م، ج1، ج2.
39- الحفناوي، (أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، 1991، ج1، ج2.
40- الرصّاع (أبو عبد الله محمد الأنصاري)، فهرست الرصّاع، تحقيق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، د.ط، 1967.
41- الزركشي، (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم كان حيا سنة 894هـ/1488م) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.
42- السبكي، (تاج الدين أبو نصر ت 727هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناجي، د.ط، د.ت، ج 4.
43- السيوطي، (جلال الدين عبد الرحمن 911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، دمشق، الطبعة الأولى، 1384هـ/1964م،ج1.
44- ----------، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، دار الفكر العربي، د.ط، 1998.
45- العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد ت أواخر ق 7هـ)، الرحلة المغربية، تحقيق: أحمد بن جدو، كلية الآداب الجزائرية، الجزائر.

46- العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن حجر) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه وقدم له ووضع حواشيه محمد سيد جاد الحق، القاهرة، أم القرى للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ج3،
47- العقباني (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد ت871هـ)، كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، Bulletin d'études orientales institut de France à Damas, tome 19 année 1965-1966.
48- العمري، (شهاب الدين ابن فضل الله ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، يصدرها: فؤاد سزكين، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، د.ط، 1408هـ/1988م، السفر الرابع.
49- القرافي (بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر ت 1008هـ)، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.
50- القلصادي (أبو الحسن علي ت 891هـ)، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس د.ط، 1978.
51- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1405هـ/1985، ج5.
52- مخلوف (محمد بن محمد)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرّج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م /1424هـ، ج1.

53- مرمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد زبير، محمد الأخضر، أحمد توفيق، أحمد علوان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط (1984)، ج2.

54- المزاري (الآغا بن عودة) طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بو عزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

55- المقري (أحمد بن محمد التلمساني ت 1041هـ)، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1425هـ/2004م.

56- ------------، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أحمد عراب وعبد السلام الهراس، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة المحمدية، د.ط، 1400هـ/1980م، ج5.

57- ------------، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حققه: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، ج6، ج8.

58- المقريزي، (تقي الدين أبو العباس ت 845هـ)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزية، وضع حواشيه خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية،بيروت، د.ط، 1418-1990،الجزء 4.

59- النعيمي، (عبد القادر بن محمد)، الدارس في تاريخ المدارس، أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م، ج1، ج2.

60- الوادي آشي، (أبو جعفر أحمد بن علي البلوي ت 938هـ)، ثبت، دراسة وتحقيق عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م.

61- الوزان (الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت 956هـ)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983، ج2.

62- الونشريسي، (أبو العباس أحمد بن يحيى ت 914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، د.ت، ج 7.

63- -----------، وفيات الونشريسي، تحقيق: أحمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، د.ط، 1396هـ/1976م.

- **قائمة المراجع :**

64- ألفردبل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ترجمة عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987.

65- أمين (أحمد)، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة العاشرة، د.ت، ج2.

66- برانشفيك (روبار)، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن15، نقله إلى العربية: جمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988، ج2.

67- بروكلمان (كارل)، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربي: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملاين، بيروت، الطبعة الأولى، 1947، إعادة الطبع 1998.

68- بونابي (الطاهر)، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجري، ص12 و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.

69- بوداود (عبيد)، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م، دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2003.

70- بورويبة (رشيد)، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائر، ترجمة: إبراهيم شبوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والمكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 1399هـ/1979م.

71- بوعزيز (يحيى)، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2004.

72- الجمل (محمد عبد المعظم)، معالم تاريخ مصر الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ط، د.ت.
73- حاجيات (عبد الحميد)، أبو حمو موسى الثاني –حياته وآثاره- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط (1394هـ/1974م).
74- خوجة (محمد)، تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، تحقيق وتعليق الجيلالي بن الحاج يحيى وحمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية.
75- زيدان (جرجي)، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت، ج3.
76- صقر (حسن)، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، دار الكتاب الحديث، الكويت، الطبعة الثانية، 1999.
77- صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط 1986.
78- الطمار (عمرو)، تلمسان عبد العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983.
79- علام (عبد الله)، الدولة الموحدية في عهد المؤمن، دار المعارف، القاهرة، د.ط/، 1971م.
80- ف.بيتنفلد، جدول السنين الهجرية بلبياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة: عبد المنعم ما جد وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط، د ت.
81- فيلالي، (عبد العزيز)، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2002، ج1، ج2.

82- القبلي (محمد)، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1987.

83- القطري (محمد)، الجامعات الإسلامية ودرها في مسيرة الفكرة التربوي، دار عطوة للطباعة، القاهرة، د.ط، د.ت.

84- قمبر (محمود)، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، د.ط، 1405هـ/1985م.

85- مارسي، (جورج)، تلمسان، ترجمة: سعيد رحماني، دار النشر التل، الجزائر، د.ط، 2004.

86- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، إشراف: لويس يواريث فرنانديث، دار الفكر العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

87- المنوني (محمد)، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، د.ط، د.ت.

– **قائمة الرسائل الجامعية :**

88- الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م) رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، تلمسان، 1425-1426هـ/2004-2005.

89- أمال لدرع، الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633هـ/1236م/962هـ/1554م)، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة منتوري، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسنطينة، السنة الجامعية 2006-2007.

90- بلحسن إبراهيم، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى القرن 9هـ/13إلى 15م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، -كلية الآداب والعوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية- قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، السنة الجامعية 2004-2005م.

91- بن سادات نصر الدين، المدرسة النظامية في بغداد ومنهجها التعليمي (447-656هـ/1065-1263م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2002-2003.

92- بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغربين الأوسط والسودان الغربي خلال العهد الزياني، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، تلمسان، السنة الجامعية 2005-2006.

93- صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791هـ/1235-1388م)، الجهاز الديني والتعليمي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، السنة الجامعية: (1424-1425هـ/2003-2004م).

94- عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية (663-962هـ/1236-1554م) بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة الإخوة منتوري، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، قسنطينة، السنة الجامعية (1424-1425هـ/2003-2004م).

95- عبيد بوداود، انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م)، ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران (1426-1427هـ/2005-2006م).

96- العربي لقريز، مدارس السلطان أبي الحسن على -مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا دراسة أثرية وفنية-، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، السنة الجامعية: 2000-2001م.

97- محمد بوشقيف، العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م. رسالة لنيل درجة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 1424-1425هـ/2003-2004م.

98- نجيب بن خيرة، الحياة العلمية في الدويلات الإسلامية بالمشرق (خراسان وماوراء النهر) بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (205هـ-432هـ/820-1040م)، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، 1424-1425هـ/2003-2004م.

- قائمة المجلات :

99- إبراهيم أحمد العدوي، التعليم الإسلامي بين الأصالة والتجديد، حوليات كلية دار العلوم، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، د.ط، 1978.

100- أحمد محمد القاسمي، دور المسجد في الإسلام، مجلة منار الإسلام. السنة الثالثة، العدد 7.

101- خالد بلعربي، أضواء على الحركة العلمية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ربيع الأول، 1425، أبريل 2004، العدد 3.

102- خالد بلعربي، ملامح الحركة التعليمية في تلمسان خلال القرن (8هـ-14م)، مجلة لآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002-2003، العدد 02.

103- رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، الأصالة، مجلة تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث قسنطينة، جويلية، أوت 1975، رجب، شعبان 1395، السنة الرابعة، العدد 26.

104- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، الأصالة مجلة تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث قسنطينة، جويلية، أوت، 1975 - رجب، شعبان، 1395هـ، السنة الرابعة العدد 26..

105- فرخيليو مارتينيث إينا مرادو، العلم والسلطة والمدارس زمن ابن خلدون، مجلة معرض ابن خلدون بين الجزائر والأندلس، إسبانيا، مؤسسة التراث الإسلامي، 2007.

106- كمال حيدر، مراكز التعليم الأولى في الإسلام، مجلة المعارج، 1992، العدد 19، د ط، د ت.

107- مبروك المصري، المدرسة الفقهية التواتية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مجلة أكاديمية دورية محكمة تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، الجزائر، السنة الأولى، 1425-2004، العدد الأول.

108- محمد إسكندري، المدرسة والدولة في العصرين الفاطمي والأيوبي، مجلة الاجتهاد، دار الكتاب للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، 1989، العدد الرابع.

109- محمد بن معمر، مساهمة ابن خلدون في تمتين الصلات الثقافية بين المغرب الأوسط (الجزائر) والأندلس، مجلة معرض ابن خلدون بين الجزائر والأندلس، مؤسسة التراث، إسبانيا، 2007.

110- المهدي البوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر، الأصالة مجلة تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، شوال، ذو القعدة 1392هـ، نوفمبر، ديسمبر 1972، العدد 11.

111- ناجي معروف، مدارس قبل النظامية، مجلة المجتمع العلمي العراقي، بغداد، 1973، المجلد 22.

112- وسيلة بلعيد بن حمزة، نشأة المدارس في تونس، الهداية، مجلة ثقافية إسلامية تصدر عن المجلس الإسلامي الأعلى، تونس، 1415-1995، العدد 5.

- قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

113- A.Berque, l'Algérie terre d'art et d'histoire à consulter sur place, 1937, Alger, cet ouvrage a été tiré sur les presses de l'ancienne imprimante Victor Meinty.

114- Atallah Dahina, Les états de l'occident Musulman aux XIII, XIV et XV siècles instituions gouvernemental et administratives office des publications universitaires, Alger

115- Hadj Omar Lachachi, le passé prestigieux de Tlemcen, ancienne capital du célèbre yaghmorac'en, fondateur de la nation, édition Ibn Khaldoun,

116- Louis Abadie, Tlemcen au passé retrouvée, France, Edition Jacques Grandini, 1999.

117- Marçais George, Note sur l'épitaphe d'une savant Tlemcenien, Revue Africaine, n°59, année 1918.

118- William Marçais et Georges Marçais, les monument arabe de Tlemcen, Paris, Ancienne librairie Thorin et fils Albert Fontenaing, Edition, 1903..

فهرس الموضوعات

الصفحة

الفـــصل الثاني

النظام الإداري –المالي– للمدارس

الفــصل الثالث

المنهج التعليمي للمدارس وأثره في تكوين النخب العلمية بتلمسان